مغامرات شرلوك هولمز

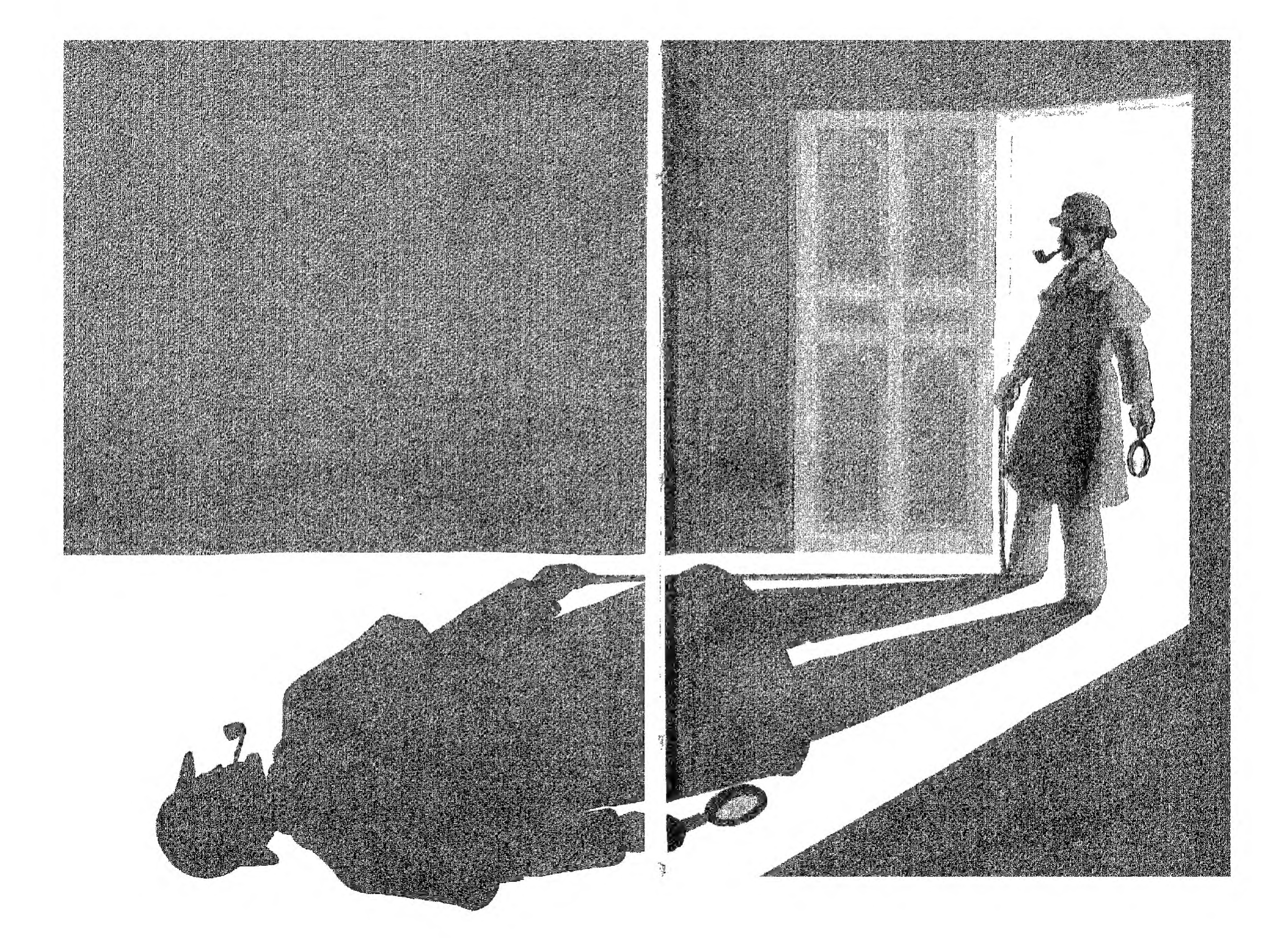
العصابة المرقطة

وقصتان أخريان



العِصَابَةُ المُرَوَّطَة

وَقِصَّتَانِ أُخْرَيَانِ



١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

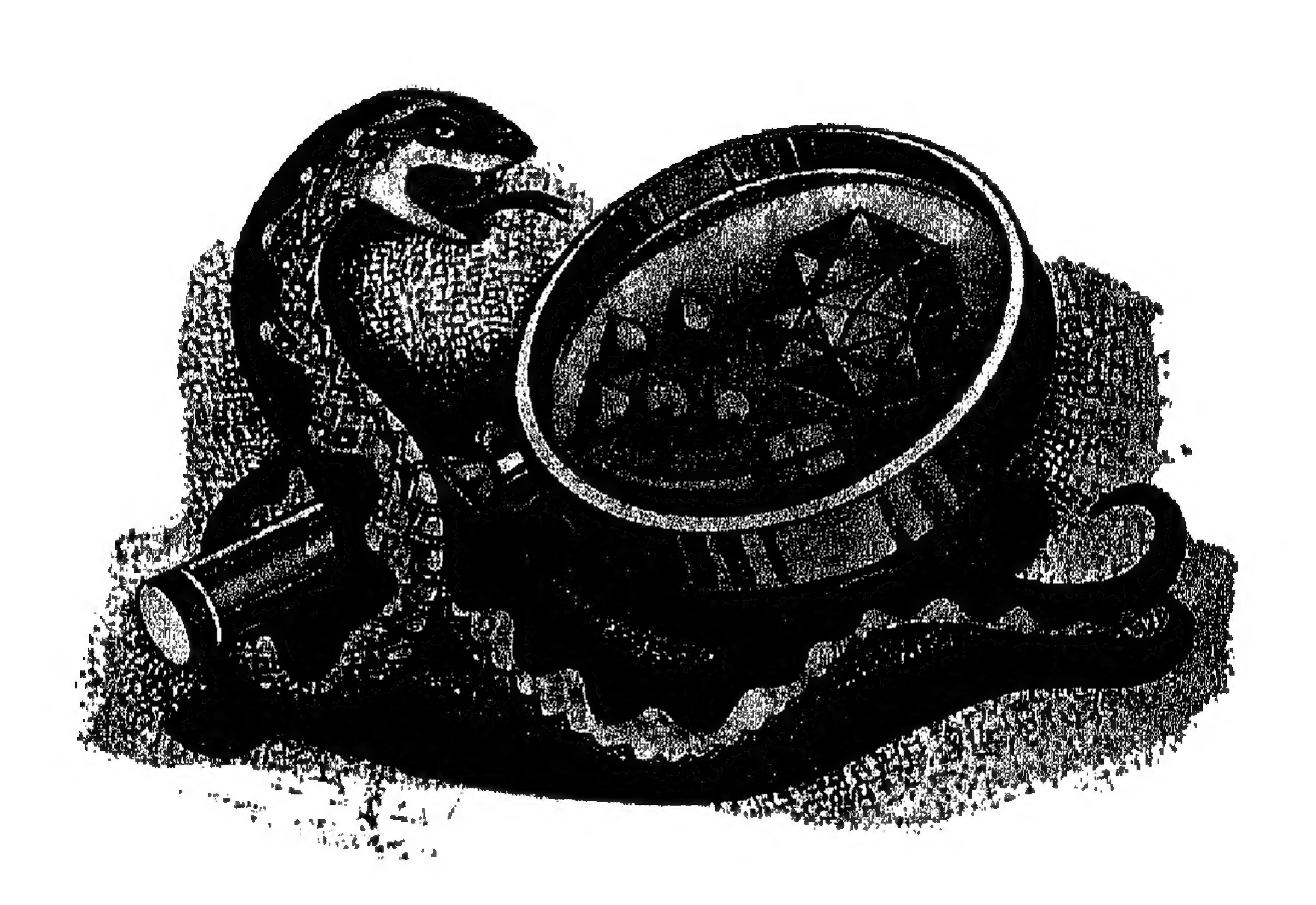
الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠١ / ٨٨
الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٥٩-٦

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

مغامرات شرلوك هولمز

العِصابةُ المُرقّطَة

وَقصّتان أخْرَيان



تأليف : آرثر كونان دويل

إعداد : يعقوب الشاروني

رسوم : عبد الشافي سيد

مكتبة لبنان

بيروت

اَلعِصـــابَةُ ٱلمُرَقَّطَـــةُ

- ١ -


كانَتْ قَضِيَّةُ «ٱلعِصابَةِ ٱلمُرَقَّطَةِ» مِنْ أُوْلَى ٱلقَضايا الَّتي اسْتَطَعْتُ، أَنا ٱلدُّكْتُور واطْسُن، أَنْ أُساعِدَ فيها صَديقي شِرْلُوك هُولمْز.

كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ، عِنْدَما كُنْتُ أَنا وَهُولمْز نُقيمُ مَعًا في شَقَّةٍ واحِدةٍ، وَقَدْ وَعَدْتُ يَوْمَها أَنْ أَحْتَفِظَ بِسِرِّ ٱلحِكايَةِ كُلِّها. لٰكِنِ ٱلآنَ، وَقَدْ تُوُفِّيَتِ ٱلسَّيِّدةُ صاحِبَتُها، أَرَى أَنَّ مِنْ حَقِّ ٱلنّاسِ أَنْ يَعْرِفوا ٱلحقيقةَ. لَقَدْ حاوَلوا اسْتِنْتاجَ سِرِّ وَفاةِ ٱلدُّكْتور غريمْسْبي رُويْلُوت، وَلٰكِنَّ اسْتِنْتاجاتِهِمْ كانَتْ أَبْعَدَ ما تَكونُ عَنِ ٱلحَقيقَةِ.

فَفي أَوائِلِ شَهْرِ أَبْريل (نَيْسانَ) سَنَةَ ١٨٨٣، اسْتَيْقَظْتُ فَجْأَةً، لِأَجِدَ شِرْلُوك هُولمْز واقِفًا بِجِوارِ فِراشي. وَلَمْ تَكُنِ ٱلسَّاعةُ قَدْ تَجاوَزَتِ ٱلسَّابِعةَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ في دَهْشَةٍ، فَقالَ: «يُؤْسِفُني جِدًّا أَنْ أُوقِظَكَ.»

فَسَأَلْتُهُ: «ماذا حَدَثَ؟! حَريقٌ؟!»

أَجابَ: «لَقَدْ جاءَتْني ٱلآنَ سَيِّدةٌ شابَّةٌ تَبْدو عَلَيْها عَلاماتُ ٱلتَّعاسةِ. إِنَّ سَيِّدةً شابَّةً في مِثْلِ سِنِّها تَجْتازُ شَوارِعَ لَنْدَن في هٰذِهِ ٱلسَّاعةِ ٱلمُبَكِّرةِ لِتَأْتِيَ إِلى هُنا، يَعْني أَنَّها تُريدُ أَنْ تُحَدِّثَني في أَمْرٍ بالِغِ ٱلأَهَمِّيَّةِ. وَأَظُنُّ أَنَّهُ تَرُوقُكَ مُعاوَنَتِي في قَضِيَّتِها. هَيَّا مَعي ٱلآنَ لِنَسْمَعَ ما سَتَقولُهُ.»



نَهَضْتُ عَلى ٱلفَوْرِ مِنْ فِراشي قائِلًا : «لَنْ يَفوتَني هٰذا بِٱلطَّبْعِ يا زَميلِيَ ٱلعَزيزَ .»

كانَتْ سَعَادَتي ٱلكُبْرى أَنْ أُساعِدَ هُولمْز في عَمَلِهِ ٱلبوليسِيِّ . وَقَدْ تابَعْتُ عَمَلَهُ في أَكْثَرَ مِنْ سَبْعينَ قَضيَّةً خِلالَ ٱلسَّنَواتِ ٱلثَّماني ٱلماضِيةِ . كانَ يَعْمَلُ لِأَنَّهُ يُحِبُّ عَمَلَهُ وَلَيْسَ لِجَمْعِ ٱلمالِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْبَلُ إِلَّا ٱلقَضايا ٱلَّتي تُثيرُ اهْتِمامَهُ .

– ٢ –

إِرْتَدَيْتُ مَلابِسي بِسُرْعَةٍ ، وَتَبِعْتُ هُولمْز إِلى غُرْفَةِ ٱلِاسْتِقْبالِ في ٱلطَّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ . كانَتْ هُناكَ سَيِّدَةٌ تَجْلِسُ بِجِوارِ ٱلنَّافِذَةِ ، مُرْتَديةً مَلابِسَ سَوْداءَ ، وَعَلى وَجْهِها نِقابٌ سَميكٌ . نَهَضَتْ لِلِقائِنا عِنْدَما دَخَلْنا ٱلغُرْفَةَ ، فَقالَ هُولمْز :

«صَباحَ ٱلخَيْرِ يا سَيِّدَتي . اسْمي شِرْلُوك هُولمْز ، وَهٰذا هُوَ صَديقي ٱلدُّكْتور واطْسُن . يُمْكِنُكِ أَنْ تَقولي لَنا كُلَّ ما تُريدينَ ، وَثِقي بِأَنَّنا سَنَحْتَفِظُ بِكُلِّ ما تَقولينَهُ سِرًّا . لِماذا تَرْتَعِدينَ ؟ تَفَضَّلي وَاجْلِسي بِجِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ . سَأَطْلُبُ لَكِ قَدَحًا مِنَ ٱلقَهْوَةِ .»

قالَتِ ٱلمَرْأَةُ بِهُدوءٍ : «لَيْسَ ٱلبَرْدُ هُوَ ٱلسَّبَبَ في رِعْدَتي .»

«لِماذا تَرْتَعِدينَ إِذًا ؟»

« إِنَّهُ ٱلخَوْفُ يا مِستر هُولمْز ! إِنَّهُ ٱلرُّعْبُ ! » ثُمَّ رَفَعَتْ نِقابَها فَرَأَيْنا صِدْقَ ما تَقولُ .

كانَ وَجْهُها شاحِبًا ، وَٱلرُّعْبُ مُرْتَسِمًا في عَيْنَيْها . كانَتْ تَبْدو في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها ، لٰكِنَّ شَعْرَها كانَ كُلُّهُ أَشْيَبَ تَقْريبًا .

قالَ هُولمْز بِرِقَّةٍ : « يَجِبُ أَلَّا تَخافي . » ثُمَّ انْحَنَى وَرَبَّتَ عَلى ذِراعِها يُطَمْئِنُها ، وَقالَ : « لَسْتُ أَشُكُّ في أَنَّنا سَنُعيدُ ٱلأُمورَ إِلى نِصابِها بِسُرْعَةٍ ، فَاطْمَئِنِّي . هَلْ وَصَلْتِ إِلى لَنْدَن بِٱلقِطارِ هٰذا ٱلصَّباحَ ؟ »

أَجابَتْ : « نَعَمْ . لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلي قَبْلَ ٱلسَّادِسَةِ ، وَوَصَلْتُ بِأَوَّلِ قِطارٍ إِلى مَحَطَّةِ وُوتَرْلو . سَأُصابُ بِٱلجُنونِ إِذا لَمْ تُساعِدْني يا سَيِّدي . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ عاوَنْتَ إِحْدى صَديقاتي عِنْدَما كانَتْ في أَشَدِّ ٱلحاجَةِ إِلى ٱلعَوْنِ . وَقَدْ أَخَذْتُ عُنْوانَكَ مِنْها . آهٍ يا سَيِّدي ! أَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَسْتَطيعُ مُعاوَنَتي أَنا أَيْضًا ، وَأَنْ تُلْقِيَ بَصيصًا مِنَ ٱلنُّورِ عَلى ٱلظُّلْمَةِ الَّتي تُحيطُ بي ؟ لَنْ أَسْتَطيعَ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ ٱلكَثيرَ ٱلآنَ ، لٰكِنْ إِذا ٱنْتَظَرْتَ ، فَإِنَّني سَأَتَزَوَّجُ خِلالَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ وَسَأَحْصُلُ عِنْدَئِذٍ عَلى ما يَخُصُّني مِنْ أَمْوالٍ . »

قالَ هُولمْز : « يُسْعِدُني أَنْ أَبْذُلَ كُلَّ ما في وُسْعي لِمُعاوَنَتِكِ يا سَيِّدَتي . وَيُمْكِنُكِ أَنْ تَدْفَعي في ٱلوَقْتِ الَّذي يُناسِبُكِ . وَٱلآنَ ، يَجِبُ أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما يُسَبِّبُ لَكِ هٰذا ٱلقَلَقَ ٱلشَّديدَ . »

أَجابَتْ زائِرَتُنا : « لِلأَسَفِ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ أُخبِرَكَ بِشَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ مُفيدًا لَكَ . كُلُّ ما جَمَعْتُهُ مِنْ حَقائِقَ قَليلٌ جِدًّا وَلا أَهَمِّيَّةَ لَهُ ، وَقَدْ تَظُنُّ أَنَّ ٱلأَمْرَ

كُلَّهُ مُجَرَّدُ أَوْهامِ امْرَأَةٍ . »

قالَ هُولمْز : « أَخْبِريني بِكُلِّ ما تَعْرِفينَ يا سَيِّدَتي ، وَحَدِّثيني أَيْضًا عَنْ أُسْرَتِكِ . »

– ٣ –

« اِسْمي هيلين سْتونَر ، وَأَعيشُ مَعَ زَوْجِ أُمِّي ، وَهُوَ آخِرُ أَفْرادِ عائِلَةٍ إِنْجليزِيَّةٍ مَشْهورَةٍ جِدًّا : إِنَّها عائِلَةُ رُويْلُوت . »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ سَمِعْتُ بِٱلاسْمِ . »

« كانَتْ هٰذِهِ ٱلعائِلَةُ ذاتَ يَوْمٍ أَغْنى عائِلاتِ إِنْجِلْتِرا ، وَكانَتْ تَمْلِكُ مِساحاتٍ شاسِعَةً مِنَ ٱلأَراضي ، تَمْتَدُّ مِنْ بِرْكشايَر شَمالًا إِلى هامْبشايَر غَرْبًا .

« وَخِلالَ ٱلمِئةِ سَنَةٍ ٱلأَخيرَةِ ، بَدَّدَ ٱلأَبْناءُ أَمْلاكَ ٱلعائِلَةِ ، حَتّى إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَمْلاكِ ٱلآنَ إِلّا مِساحاتٌ صَغيرةٌ مِنَ ٱلأَراضي ، وَمَنْزِلٌ عَتيقٌ بُنِيَ مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ مِئَتَيْ عامٍ . وَتَراكَمَتْ عَلى ٱلأُسْرَةِ دُيونٌ كَثيرةٌ ، وَدَرَسَ ٱلِابْنُ ٱلأَكْبَرُ ٱلطِّبَّ ، وَسافَرَ إِلى ٱلهِنْدِ ، وَهُناكَ حالَفَهُ ٱلتَّوْفيقُ . وَفَجْأَةً أُصيبَ لِسُوءِ ٱلحَظِّ بِكارِثَةٍ فَظيعةٍ : فَقَدِ اقْتَحَمَ لِصٌّ مَنْزِلَهُ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَسَرَقَ كُلَّ مُحْتَوياتِهِ تَقْريبًا . وَفي سَوْرَةِ غَضَبِهِ ، اعْتَبَرَ خادِمَهُ مَسْئُولًا عَنِ ٱلسَّرِقَةِ وَانْهالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا حَتّى ماتَ ٱلمِسْكينُ .

« أُلْقِيَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت في ٱلسِّجْنِ بِسَبَبِ هٰذِهِ ٱلجَريمةِ ٱلفَظيعةِ ، وَقَضى

فيهِ أَعْوامًا طَويلةً ، عادَ بَعْدَها إلى إنْجِلْتِرا مُحَطَّمًا ساخِطًا .

« عِنْدَما كانَ دُكْتور رُويْلُوت في ٱلهِنْدِ ، تَزَوَّجَ أُمِّي بَعْدَ وَفاةِ أَبي ، وَيَوْمَها كُنْتُ أَنا وَأُخْتِيَ ٱلتَّوْأَمُ في ٱلثَّانِيةِ مِنَ ٱلعُمْرِ ، وَقَدْ تُوُفِّيَتْ أُمِّي مُنْذُ ثَمانِيةِ أَعْوامٍ ، وَتَرَكَتْ لِزَوْجِها ، ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ، كُلَّ ثَرْوَتِها وَأَوْصَتْهُ بِأَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنَّا ، عِنْدَما نَتَزَوَّجُ ، مَبْلَغًا مُعَيَّنًا مِنَ ٱلمالِ كُلَّ عامٍ .

« كانَتِ ٱلثَّرْوةُ الَّتي تَرَكَتْها أُمِّي تَكْفي لِنَعيشَ أَنا وَأُخْتي حَياةً سَعيدةً ، لٰكِنَّ تَغْييرًا مُخيفًا أَصابَ زَوْجَ أُمِّنا . فَلَمْ يُنْشِئْ أَيَّ صَداقَةٍ مَعَ جيرانِنا ، رَغْمَ أَنَّهُمْ كانوا سُعَداءَ في ٱلبِدايَةِ بِعَوْدَةِ ٱلحَياةِ إلى مَنْزِلِنا .

« أَغْلَقَ عَلى نَفْسِهِ أَبْوابَ ٱلمَنْزِلِ . وَإِذا خَرَجَ ، تَعارَكَ مَعَ كُلِّ مَنْ يَراهُ ، فَأَصْبَحَ مَصْدَرًا لِرُعْبِ ٱلقَرْيَةِ ، إلى دَرَجةِ أَنَّ ٱلنَّاسَ كانوا يَحْرِصونَ عَلى ٱلابْتِعادِ عَنْ طَريقِهِ ، وَيَخْشَوْنَ غَضَبَهُ ، فَهُوَ رَجُلٌ قَوِيُّ ٱلجِسْمِ ، وَكانوا يَعْرِفونَ ما فَعَلَهُ بِخادِمِهِ في ٱلهِنْدِ . »

— ٤ —

واصَلَتْ هِيلين سْتُونَر رِوايَةَ قِصَّتِها قائِلةً : « كانَ أَصْدِقاؤُهُ ٱلوَحيدونَ هُمُ ٱلغَجَرَ الَّذينَ يَتَجَوَّلونَ في ٱلرِّيفِ . وَكانَ يَسْمَحُ لِهٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ بِإِقامَةِ خِيامِهِمْ في أَرْضِهِ ، وَكانَ يَذْهَبُ أَحْيانًا مَعَهُمْ في رِحْلاتِهِمْ ، وَيَنامُ في خِيامِهِمْ . كَما كانَ يَحْتَفِظُ بِٱلثَّعابينِ وَغَيْرِها مِنَ ٱلحَيَواناتِ الَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ،

وَيَتْرُكُها تَمْشي في أَيِّ مَكانٍ في ٱلبَيْتِ أَوِ ٱلحَديقةِ ، فَتُثيرُ رُعْبَ كُلِّ ٱلنَّاسِ .

« وَيُمْكِنُ يا سَيِّدي أَنْ تَتَخَيَّلَ مِنْ كُلِّ ما قُلْتُهُ ، أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يُدْخِلُ ٱلبَهْجةَ عَلى حَياتي وَحَياةِ أُخْتي جُولْيا .

« لَمْ يَقْبَلْ أَيُّ خادِمٍ أَنْ يَبْقى عِنْدَنا طَويلًا ، فَكُنَّا نَقُومُ بِكُلِّ أَعْمالِ ٱلمَنْزِلِ . وَلَمْ يُمْهِلِ ٱلقَدَرُ أُخْتي ، فَفارَقَتِ ٱلحَياةَ وَهِيَ في ٱلثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِها . وَكانَ لَوْنُ شَعْرِها أَبْيَضَ مِثْلَ شَعْري . »

سَأَلَ هُولمْز : « هَلْ ماتَتْ أُخْتُكِ ؟ »

« ماتَتْ مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهٰذا هُوَ سَبَبُ حُضوري إِلَيْكَ .

« كُنَّا نُقيمُ عِنْدَ بَعْضِ أَقارِبِنا في لَنْدَن مُنْذُ عامَيْنِ ، وَهُناكَ قابَلَتْ أُخْتي رَجُلًا طَلَبَ أَنْ يَتَزَوَّجَها .

« وَلَمَّا عُدْنا إِلى بَيْتِنا ، بَدا زَوْجُ أُمِّنا سَعيدًا جِدًّا بِهٰذا ٱلزَّواجِ ، لٰكِنَّ شَيْئًا مُخيفًا حَدَثَ ذاتَ يَوْمٍ ، قَبْلَ ٱلزِّفافِ بِأُسْبوعَيْنِ . »

كانَ هُولمْز مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ مَقْعَدِهِ ، وَقَدْ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ يُنْصِتُ لِحَديثِ ٱلسَّيِّدةِ . وَعِنْدَما سَمِعَ ما قالَتْهُ ، فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَيْها قائِلًا : « أَرْجو أَنْ تُخْبِريني بِكُلِّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ . »

قالَتْ : « يُمْكِنُني أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ بِكُلِّ سُهولةٍ ، لِأَنَّ ما حَدَثَ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ٱلمُخيفِ حَيٌّ في ذاكِرَتي إِلى ٱلأَبَدِ .

«وَيَجِبُ أَنْ أَصِفَ لَكَ أَوَّلًا شَكْلَ مَنْزِلِنا . إنَّ كُلَّ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ مَوْجودةٌ في ٱلطَّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ . ٱلغُرْفَةُ ٱلأُولَى لِلدُّكْتور رُويْلُوت ، وَٱلثَّانيةُ لِأُخْتي ، وَٱلثَّالِثةُ لي . وَكُلُّ أَبْوابِ حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ تُفْتَحُ عَلى مَمَرٍّ واحِدٍ .

«وَتُطِلُّ نَوافِذُ هٰذِهِ ٱلحُجُراتِ ٱلثَّلاثِ عَلى ٱلحَديقَةِ . وَفي لَيْلَةِ وفَاةِ أُخْتي ذَهَبَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت إلى غُرْفَتِهِ مُبَكِّرًا ، وَذَهَبْنا نَحْنُ أَيْضًا إلى غُرْفَتَيْنا ، لٰكِنَّ أُخْتي لَمْ تَلْبَثْ أَنْ جاءَتْ إلى غُرْفَتي وَقالَتْ لي : إنَّني لا أَسْتَطيعُ ٱلنَّوْمَ . إنَّ رُويْلُوت يُدَخِّنُ ، وَرائِحَةُ سَجائِرِهِ تَصِلُ إلى غُرْفَتي . وَجَلَسَتْ مَعي نَتَحَدَّثُ حَتَّى ٱلسَّاعَةِ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ تَقْريبًا .

«وَعِنْدَما نَهَضَتْ جُولْيا لِتُغادِرَ غُرْفَتي ، تَوَقَّفَتْ عِنْدَ بابِ ٱلغُرْفَةِ قائِلَةً : أَخْبِريني يا هِيلين ، هَلْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتِ شَخْصًا يُصَفِّرُ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ؟

«أَجَبْتُ : كَلَّا .

«فَقالَتْ : لا أَظُنُّ أَنَّكِ أَنْتِ ٱلَّتي تُصَفِّرينَ أَثْناءَ نَوْمِكِ ؟

« لا بِٱلتَّأْكيدِ ! لٰكِنْ لِماذا تَسْأَلينَ ؟

«قالَتْ : إنَّني مُنْذُ عِدَّةِ لَيالٍ ، وَفي حَوالَى ٱلثَّالِثَةِ صَباحًا ، أَسْمَعُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا يُوقِظُني دائِمًا . وَلا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ مَصْدَرَهُ ، رُبَّما كانَ يَأْتي مِنْ غُرْفَةِ رُويْلُوت ، وَرُبَّما مِنَ ٱلحَديقَةِ .



«قُلْتُ لَها : قَدْ يَكونُ مَصْدَرُهُ هٰؤُلاءِ ٱلغَجَرَ الَّذينَ يَسْمَحُ لَهُمُ ٱلطَّبيبُ بِٱلبَقاءِ في ٱلحَديقَةِ .

« مُحْتَمَلٌ جِدًّا . لٰكِنْ يُدْهِشُني أَنَّكِ لا تَسْمَعينَ هٰذا ٱلصَّفيرَ أَيْضًا .

« أَعْتَقِدُ أَنَّ نَوْمي أَعْمَقُ مِنْ نَوْمِكِ .

« قالَتْ : لا تَهْتَمّي بِٱلأَمْرِ ! ثُمَّ ابْتَسَمَتْ لي وَغادَرَتِ ٱلغُرْفَةَ ، وَبَعْدَ دَقائِقَ سَمِعْتُها تُغْلِقُ بابَ غُرْفَتِها بِٱلمِفْتاحِ . »

سَأَلَ هُولمْز ٱلسَّيِّدَةَ : « هَلْ كانَ مِنْ عادَتِكُما أَنْ تُغْلِقا دائِمًا غُرْفَتَيْكُما لَيْلًا بِٱلمِفْتاحِ ؟ »

« دائِمًا . »

« لِماذا ؟ »

« أظُنُّ أنّني أخبَرْتُكَ أنَّ ٱلطَّبيبَ يَحْتَفِظُ بِحَيَواناتٍ مُفْتَرِسةٍ تَتَمَشّى طَوالَ ٱللَّيْلِ في أنْحاءِ ٱلبَيْتِ . وَلَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ بِٱلِاطْمِئْنانِ إلّا إذا أغْلَقْنا بابَيْنا بِٱلمِفْتاحِ . »

« فَهِمْتُ . أرْجو أنْ تُكْمِلي . »

– ٥ –

اِسْتَمَرَّتْ هيلين تَرْوي قِصَّتَها فَقالَتْ : « لَمْ أسْتَطِعِ ٱلنَّوْمَ في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ . كانَتْ هُناكَ عاصِفةٌ ؛ ٱلرِّيحُ تَزْأرُ في ٱلخارِجِ ، وَٱلأمْطارُ تَقْرَعُ ٱلنَّوافِذَ .

« فَجْأةً سَمِعْتُ صَرْخةً مُرَوِّعَةً ، أطْلَقَتْها امْرأةٌ أصابَها رُعْبٌ . وَأدْرَكْتُ أنَّها أُخْتي ، فَقَفَزْتُ مِنْ فِراشي . وَبَيْنَما كُنْتُ أفْتَحُ بابَ غُرْفَتي لِأخْرُجَ إلى ٱلمَمَرِّ ، خُيِّلَ إلَيَّ أنّني سَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا ، يُشْبِهُ ما وَصَفَتْهُ أُخْتي . وَبَعْدَ لَحْظَةٍ سَمِعْتُ صَوْتَ سُقوطِ شَيْءٍ مَعْدِنيٍّ .

« وَعِنْدَما انْدَفَعْتُ أجْري في ٱلمَمَرِّ ، فُتِحَ بابُ غُرْفَةِ أُخْتي ، وَرَأيْتُها شاحِبةَ ٱلوَجْهِ مِنَ ٱلرُّعْبِ . وَكانَتْ تَمُدُّ يَدَيْها تَطْلُبُ ٱلعَوْنَ ، وَكانَ جِسْمُها يَتَمايَلُ يَمْنةً وَيَسْرةً .

« جَرَيْتُ نَحْوَها ، وَما إنْ طَوَّقْتُها بِذِراعَيَّ ، حَتّى تَخاذَلَتْ رُكْبَتاها وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأرْضِ . وَكانَ يَبْدو أنَّها تُعاني مِنْ ألَمٍ فَظيعٍ .

« هَمَسَتْ أُخْتي قائِلةً : ، آهٍ .. هيلين .. يا إلٰهي .. إنَّها ٱلعِصابَةُ !

ٱلعِصابةُ ٱلمُرَقَّطَةُ ! ، ثُمَّ أَشارَتْ ناحِيةَ غُرْفَةِ ٱلطَّبيبِ ، لٰكِنَّها لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْطِقَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰـذا .

« عِنْدَئِذٍ ظَهَرَ ٱلطَّبيبُ خارِجًا مِنْ غُرْفَتِهِ ، وَ حاوَلَ مَعي إِنْقاذَ حَياةِ أُخْتي ، وَ لٰـكِنَّ ٱلقَدَرَ لَمْ يُمْهِلْها ، وَ أَسْلَمَتِ ٱلرُّوحَ في ٱلحالِ . »

قالَ هُولمْز مُتَسائِلًا : « هَلْ أَنْتِ واثِقةٌ أَنَّكِ سَمِعْتِ ذٰلِكَ ٱلصَّفيرَ ، وَ صَوْتَ سُقوطِ جِسْمٍ مَعْدِنِيٍّ ؟ هَلْ أَنْتِ مُتَأَكِّدةٌ مِنْ هٰـذا تَمامًا ؟ »

« أَظُنُّ أَنَّني سَمِعْتُهُ .. رُبَّما يَكونُ صَوْتُ ٱلعاصِفةِ هُوَ ٱلَّذي جَعَلَني أَتَخَيَّلُ تِلْكَ ٱلأَصْواتَ . »

« هَلْ كانَتْ أُخْتُكِ تَرْتَدي كامِلَ مَلابِسِها ؟ »

« كَلَّا ، كانَتْ تَرْتَدي ثِيابَ ٱلنَّوْمِ . وَ كانَ في يَدِها ٱليُمْنى عُودُ ثِقابٍ مُحْتَرِقٌ ، وَ في يَدِها ٱليُسْرى عُلْبَةُ ٱلثِّقابِ . »

قالَ هُولمْز : « هٰـذا يَدُلُّ عَلى أَنَّها كانَتْ في فِراشِها ، وَ أَنَّها أَشْعَلَتْ عُودَ ٱلثِّقابِ بِمُجَرَّدِ أَنْ شَعَرَتْ بِٱلخَطَرِ لِتَرى ما حَوْلَها ... هٰـذا شَيْءٌ هامٌّ . »

قالَتِ ٱلسَّيِّدةُ : « حَقَّقَ رِجالُ ٱلشُّرْطةِ ٱلقَضِيَّةَ بِعِنايةٍ شَديدةٍ ، وَ كانَ مُعْظَمُ ٱلنَّاسِ لا يُحِبُّونَ ٱلدُّكْتورَ رُويْلوت بِسَبَبِ ماضِيهِ ، لٰـكِنْ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ سَبَبَ ٱلوَفاةِ . لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في ٱسْتِطاعةِ أَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَها ، لِـذٰلِكَ أَصْبَحَ مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّ أُخْتي كانَتْ وَحْدَها في ٱلغُرْفَةِ . »

«أَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ سُمٌّ ؟»

«لَقَدْ فَحَصوا جُثَّتَها ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدوا أَثَرًا لِسُمٍّ .»

سَأَلَها هُولمْز : «إِذًا ما هُوَ في اعْتِقادِكِ سَبَبُ مَوْتِ أُخْتِكِ ؟»

«أَعْتَقِدُ أَنَّها ماتَتْ نَتيجةَ إِصابَتِها بِرُعْبٍ شَديدٍ ، رَغْمَ أَنَّني لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُحَدِّدَ سَبَبًا لِرُعْبِها .»

«هَلْ كانَ هُناكَ غَجَرٌ يُقيمونَ في أَرْضِكُمْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ؟»

«نَعَمْ ، فَٱلبَعْضُ مِنْهُمْ يُقيمُ فيها دائِمًا .»

«بِرَأْيِكِ ، ماذا كانَتْ أُخْتُكِ تَقْصِدُ بِالْعِصابَةِ .. العِصابَةِ ٱلْمُرَقَّطَةِ ؟»

«لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ عِصابَةً مِنَ ٱلنَّاسِ . أَوْ لَعَلَّها كانَتْ تَقْصِدُ ٱلغَجَرَ ، فَإِنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِنْهُمْ يَرْبِطونَ حَوْلَ رُؤوسِهِمْ مَناديلَ مُنَقَّطَةً .»

وَ هَزَّ هُولمْز رَأْسَهُ ، وَ ظَهَرَ أَنَّهُ يَشُكُّ كَثيرًا في ذٰلِكَ ٱلتَّفْسيرِ . قالَ : «لَسْتُ أَدْري ، إِنَّ ٱلأَمْرَ مُحَيِّرٌ جِدًّا . لٰكِنْ أَرْجو أَنْ تَسْتَمِرِّي في قِصَّتِكِ .»

«مَضَتْ سَنَتانِ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلأَحْداثِ ، أَحْسَسْتُ فيهِما بِوَحْدةٍ قاسِيَةٍ . وَ في ٱلشَّهْرِ ٱلماضي ، تَقَدَّمَ صَديقٌ عَزيزٌ ، أَعْرِفُهُ مُنْذُ سَنَواتٍ ، يَطْلُبُ ٱلزَّواجَ بي ، اسْمُهُ بِيرسِي أَرْمِيتاج . وَ قَدْ وافَقَ زَوْجُ أُمِّي ، وَ سَنَتَزَوَّجُ في ٱلرَّبيعِ ٱلقادِمِ .

«مُنْذُ يَوْمَيْنِ ، طَلَبَ مِنِّي زَوْجُ أُمِّي أَنْ أَنْتَقِلَ إِلى غُرْفَةِ أُخْتي ، إِلى أَنْ تَتِمَّ

بَعْضُ آلإِصْلاحاتِ في غُرْفَتي ، وَهٰكَذا اضْطُرِرْتُ إلى أَنْ أَنامَ في فِراشِ أُخْتي .

« وَلَكَ أَنْ تَتَخَيَّلَ مَدى ما أَصابَني مِنْ رُعْبٍ آللَّيْلَةَ آلماضِيَةَ ، عِنْدَما سَمِعْتُ فَجْأَةً ، وَأَنا أَرْقُدُ مُسْتَيْقِظَةً ، الصَّفيرَ آلخافِتَ الَّذي سَمِعَتْهُ أُخْتي لَيْلَةَ وَفاتِها . لَقَدْ قَفَزْتُ واقِفَةً ، وَأَضَأْتُ آلمِصْباحَ لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَرى شَيْئًا . لَقَدْ مَلأَني آلرُّعْبُ حَتّى لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَعودَ ثانِيَةً إلى آلنَّوْمِ ، فَارْتَدَيْتُ مَلابِسي في آلحالِ ، وَبَقيتُ خائِفَةً قَلِقَةً . وَما إِنْ ظَهَرَتْ تَباشيرُ ضَوْءِ آلنَّهارِ ، حَتّى أَسْرَعْتُ أَجْري إلى فُنْدُقِ آلتّاجِ ، الَّذي يَقَعُ قَريبًا مِنّا . وَمِنْ هُناكَ اسْتَأْجَرْتُ عَرَبَةً أَوْصَلَتْني إلى مَحَطَّةِ آلسِّكَّةِ آلحَديدِيَّةِ ، وَجِئْتُ إِلَيْكَ أَطْلُبُ آلنُّصْحَ وَآلمَعونَةَ . »

— ٦ —

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ تَصَرَّفْتِ بِحِكْمَةٍ . لٰكِنْ ، هَلْ ما سَمِعْتُهُ مِنْكِ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ ؟ »

« نَعَمْ .. كُلُّ شَيْءٍ . »

« لا ، يا آنِسَةُ سْتونَر .. إِنَّكِ تُحاوِلينَ حِمايَةَ زَوْجِ أُمِّكِ لِسَبَبٍ لا أَعْرِفُهُ . »

« ماذا تَقْصِدُ ؟ »

لَمْ يُجِبْ هُولمْز ، وَلٰكِنَّهُ أَمْسَكَ يَدَ هيلين سْتونَر ، وَرَفَعَها . كانَتْ عَلى ذِراعِها آثارٌ حَمْراءُ لِأَرْبَعَةِ أَصابِعَ .

قالَ هُولمْز : «إنَّهُ يَقْسو عَلَيْكِ .»

ظَهَرَتِ ٱلتَّعاسةُ عَلى وَجْهِ ٱلفَتاةِ ، وَ غَطَّتْ ذِراعَها قائِلَةً : «إنَّهُ رَجُلٌ قاسٍ ، ولا يُحِسُّ بِمَدى قُوَّتِهِ .»

خَيَّمَ صَمْتٌ طَويلٌ ، وَهُولمْز يَتَطَلَّعُ إلى نارِ ٱلمِدْفَأَةِ ، ثُمَّ قالَ أخيرًا : «هٰذا مَوْضوعٌ مُعَقَّدٌ وَ غامِضٌ ، يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ أَشْياءَ أُخرى كَثيرةً ، قَبْلَ أَنْ أَقومَ بِأَيِّ عَمَلٍ . وَ مَعَ ذٰلِكَ ، عَلَيْنا أَلَّا نُضَيِّعَ ٱلوَقْتَ . هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَذْهَبَ ٱليَوْمَ إلى بَيْتِكِ ، وَ نُلْقيَ نَظْرةً عَلى غُرْفةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي تَحَدَّثْتِ عَنْها ، دونَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلطَّبيبُ بِذٰلِكَ ؟»

«نَعَمْ ، لِأَنَّهُ سَيَأْتي ٱليَوْمَ إلى لَنْدَن ، وَسَيَقْضي ٱلنَّهارَ كُلَّهُ بَعيدًا عَنِ ٱلبَيْتِ ، وَلَنْ يَعوقَكَ شَيْءٌ .»

«رائِعٌ !» ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إلَيَّ وَ سَأَلَني : «هَلْ سَتَأْتي مَعي يا واطْسُن ؟»

«يُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ .»

قالَ هُولمْز : «ماذا تَنْوينَ أَنْ تَفْعَلي يا آنِسةُ سْتُونَر ؟»

«سَأَعودُ ٱلآنَ إلى ٱلبَيْتِ ، وَ أُقابِلُكُما هُناكَ .»

ثُمَّ نَهَضَتْ قائِلَةً : «إنَّني ٱلآنَ أَشْعُرُ بِٱلرَّاحةِ ، بَعْدَ ٱلحَديثِ مَعَكُما .» وَ أَسْدَلَتْ نِقابَها ٱلأَسْوَدَ ٱلسَّميكَ فَوْقَ وَجْهِها ، وَ غادَرَتِ ٱلغُرْفةَ .

– ٧ –

سَأَلَني شيرْلوك هُولمْز : «ما رَأْيُكَ في هٰذِهِ ٱلمَسْأَلةِ يا واطْسُن ؟»

أَجَبْتُ : «إنَّها تَبْدو لي قَضِيَّةً مِنْ نَوْعٍ جَديدٍ شَديدِ ٱلتَّعْقيدِ . فَأَمامَنا وَصِيَّةُ ٱلأُمِّ الَّتي تَنُصُّ عَلى أَنَّهُ عِنْدَ زَواجِ ٱلبِنْتَيْنِ ، يَتَعَيَّنُ عَلى ٱلدُّكْتور رُويْلُوت أَنْ يُعْطِيَ كُلًّا مِنْهُما مَبْلَغًا مِنَ ٱلمالِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ في هٰذا ما يَكْفي لِارْتِكابِ جَرِيمَةِ قَتْلٍ .»

«لٰكِنْ كَيْفَ ؟ هَلِ اسْتَعانَ في ذٰلِكَ بِٱلغَجَرِ ؟»

«ما الَّذي يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ٱلغَجَرُ ؟»

«لَسْتُ أَدْري ، وَهٰذا هُوَ ٱلسَّبَبُ الَّذي يَدْفَعُني إلى ٱلذَّهابِ ٱليَوْمَ إلى بَيْتِها .. لٰكِنْ ... ما هٰذا ؟» وَقَطَعَ هُولمْز حَديثَهُ فَجْأَةً ، عِنْدَما شاهَدَ بابَ ٱلغُرْفَةِ يُفْتَحُ بِعُنْفٍ ، وَيَدْخُلُ رَجُلٌ ضَخْمُ ٱلجِسْمِ .

سَأَلَ ٱلرَّجُلُ ٱلضَّخْمُ : «مَنْ فيكُما هُولمْز ؟»

أَجابَ هُولمْز : «هٰذا هُوَ اسْمي يا سَيِّدي ، فَهَلْ تَتَكَرَّمُ وَتُخْبِرُني مَنْ أَنْتَ ؟»

«أَنا ٱلدُّكْتور رُويْلُوت .»

قالَ هُولمْز في هُدوءٍ : «أَهْلًا يا دُكْتور .. تَفَضَّلْ بِٱلجُلوسِ .»

«لا .. لَنْ أَجْلِسَ .. لَقَدْ كانَتِ ابْنَتي هُنا ... ماذا كانَتْ تَقولُ لَكُما ؟»

قالَ هُولمْز : « أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلجَوَّ ٱليَوْمَ بارِدٌ بَعْضَ ٱلشَّيْءِ يا سَيِّدي . »

صاحَ ٱلطَّبيبُ : « ماذا كانَتْ تَقولُ لَكَ ؟ »

وَاصَلَ هُولمْز حَديثَهُ قائِلًا : « لٰكِنَّ ٱلأَزْهارَ قَدْ بَدَأَتْ تَنْمو . »

« اِسْمَعْ ! أَنا أَعْرِفُكَ يا صانِعَ ٱلمَتاعِبِ . لَقَدْ سَبَقَ أَنْ سَمِعْتُ عَنْكَ . إِنَّكَ هُولمْز ٱلرَّجُلُ الَّذي يَتَظاهَرُ بِأَنَّهُ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ ، وَ يَنْطَلِقُ هُنا وَهُناكَ لِيُثيرَ ٱلمَتاعِبَ لِلنَّاسِ . »

ضَحِكَ هُولمْز بِهُدوءٍ وَلَمْ يَزِدْ عَنْ قَوْلِهِ : « عِنْدَما تَخْرُجُ ، أَرْجو أَنْ تُغْلِقَ ٱلبابَ وَراءَكَ ، لِأَنَّ ٱلبُرودَةَ بَدَأَتْ تَشيعُ في ٱلغُرْفَةِ . »

« مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ تَتْرُكَني وَشَأْني . إِنَّني رَجُلٌ خَطِرٌ . أَنا أَعْرِفُ أَنَّ ٱلآنِسةَ سْتُونَر كانَتْ هُنا . » ثُمَّ اسْتَدارَ ٱلرَّجُلُ ، وَ غادَرَ ٱلغُرْفَةَ بِسُرْعَةٍ .

قُلْتُ : « أَرْجو أَلَّا يَعْتَدِيَ عَلى ٱلآنِسةِ سْتُونَر . »

قالَ هُولمْز : « لَيْسَ هُناكَ وَقْتٌ نُضَيِّعُهُ ، لٰكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ إِلى بَيْتِها ، يَجِبُ أَنْ أُحاوِلَ مَعْرِفَةَ ٱلمَزيدِ عَنْ هٰذا ٱلرَّجُلِ . سَأَذْهَبُ إِلى إِدارةِ ٱلسِّجِلَّاتِ ، وَ أُحاوِلُ ٱلحُصولَ عَلى شَيْءٍ يُعاوِنُني في هٰذا ٱلمَوْضوعِ . »

– ٨ –

كانَتِ ٱلسَّاعةُ قَدْ قارَبَتِ ٱلواحِدةَ بَعْدَ ٱلظُّهْرِ ، عِنْدَما عادَ شِرْلُوك هُولمْز



يُمْسِكُ في يَدِهِ بِوَرَقَةٍ مَليئَةٍ بِٱلْمُلاحَظاتِ وَ ٱلأَرْقامِ . قالَ : « لَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلى وَصِيَّةِ زَوْجَةِ ٱلطَّبيبِ ، الَّتي تُوُفِّيَتْ مُنْذُ ثَماني سَنَواتٍ . مِنَ ٱلْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ إذا تَزَوَّجَتِ ٱلْفَتاتانِ ، فَفي إِمْكانِهِما أَنْ تُطالِبا تَقْريبًا بِكُلِّ ثَرْوَةِ ٱلطَّبيبِ . وَلَنْ يَتَبَقّى لَهُ مِنَ ٱلثَّرْوَةِ إِلّا ٱلْقَليلُ جِدًّا لِيَعيشَ بِهِ . »

قُلْتُ : « إِذًا لَمْ يَذْهَبْ جَهْدُكَ هٰذا ٱلصَّباحَ بِغَيْرِ فائِدَةٍ . لَقَدْ وَجَدْتَ ٱلدَّليلَ الَّذي يُؤَكِّدُ أَنَّ لَدى ٱلطَّبيبِ كُلَّ ٱلأَسْبابِ الَّتي تَدْفَعُهُ إِلى مَنْعِ زَواجِ ٱلْفَتاتَيْنِ مَنْعًا باتًّا . »

قالَ هُولمْز : «هٰذا صَحيحٌ .. وَ يَعْلَمُ ٱلطَّبيبُ ٱلآنَ أنَّنا مُهْتَمَّانِ بِأَمْرِهِ ، لِـذٰلِكَ أرى أنْ نَذْهَبَ في ٱلحالِ إلى ٱلبَيْتِ . هَيّـا يا واطْسُن ... إِحْمِـلْ مُسَدَّسَكَ ، وَلا تَنْسَ فُرْشَةَ أَسْنانِكَ أَيْضًا ، فَقَدْ نَقْضي ٱللَّيْلَةَ هُناكَ . »

كانَ يَوْمًا مُناسِبًا جِدًّا لِلرِّحْلَةِ ، فَٱلشَّمْسُ ساطِعَةٌ ، وَلا تُوجَدُ في ٱلسَّماءِ إلَّا نُتَفٌ مِنَ ٱلغُيـومِ ، وَقَـدْ بَدَأَتِ ٱلأَوْراقُ ٱلخَضْراءُ ٱلجَديـدَةُ تَظْهَـرُ فَوْقَ ٱلأَشْجارِ ، وَٱلجَوُّ مُشْبَعٌ بِرائِحَةِ ٱلأَرْضِ ٱلنَّدِيَّةِ ؛ كانَ مِنَ ٱلصَّعْبِ أَنْ يُصَدِّقَ مَنْ يَرانا أَنَّنا ذاهِبانِ لِمِثْلِ هٰـذِهِ ٱلمُهِـمَّةِ ٱلصَّعْبَةِ .

عِنْدَما وَصَلْنا ، وَجَدْنا ٱلآنِسَةَ سْتُونَر في ٱنْتِظارِنا . وَما إنْ رَأَتْنا حَتَّى قالَتْ : « كُنْتُ أَنْتَظِرُكُما بِفارِغِ ٱلصَّبْرِ . » ثُمَّ صافَحَتْنا بِحَرارَةٍ قائِلَةً : «مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلدُّكْتُور رُويْلُوت قَدْ ذَهَبَ إلى لَنْدَنْ ، وَلَنْ يَعودَ إلَّا في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱلمَساءِ . »

قالَ هُولمْز : «لَقَدْ جاءَنا ٱلدُّكْتور رُويْلُوت بَعْدَ خُروجِكِ مِنْ عِنْدِنـا ، وَيُؤْسِفُني أَنَّهُ تَبِعَكِ إلى مَنْزِلي . لَقَدْ كانَ فَظًّا شَديدَ ٱلغَضَبِ عِنْدَما تَجاهَلْتُ إِخْبارَهُ عَنْ سَبَبِ حُضورِكِ لِمُقابَلَتي . »

عِنْدَما سَمِعَتِ ٱلآنِسَةُ سْتُونَر هٰـذا ، ازْدادَ وَجْهُها شُحُوبًا ، وَ صاحَتْ : «آهِ يا رَبِّي ! هَلْ تَبِعَني ؟ »

« نَعَــــمْ . »

« لَسْتُ أَدْري مَتى يُمْكِنُ أَنْ أَكونَ في مَأْمَنٍ مِنْهُ . ماذا سَيَقولُ عِنْدَما يَعودُ إلى ٱلمَنْزِلِ ؟ »

« يَجِبُ أَنْ تَحْرِصي عَلى ٱلِابْتِعادِ عَنْهُ تَمامًا هٰـذِهِ ٱللَّيْلَةَ . وَقَدْ يَكونُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ آخُذَكِ لِتَبْقَيْ مَعَ أَقارِبِكِ ٱلَّذينَ في لَنْدن . لٰـكِنْ قَبْلَ أَنْ نَذْهَبَ ، أَرْجو أَنْ أَرى ٱلغُرَفَ ٱلثَّلاثَ ٱلَّتي يَجِبُ أَنْ نَفْحَصَها . »

— ٩ —

فَحَصَ هُولمْز حُجُراتِ ٱلنَّوْمِ ٱلثَّلاثَ .

قالَ : « هٰـذِهِ غُرْفَتُكِ ياآنِسةُ ستُونَر ، أَلَيْسَ كَـذٰلِكَ ؟ لٰـكِنِّي لا أَرى فِيها ما يَسْتَوْجِبُ ٱلإِصْلاحَ . »

« أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلدُّكْتُور كانَ يَتَعَلَّلُ بِإِصْلاحِها حَتَّى يَنْقُلَني مِنْها إِلى غُرْفَةِ أُخْتي . »

قالَ هُولمْز : « هٰـذا مُمْكِنٌ جِدًّا . » ثُمَّ نَظَرَ إِلى ٱلأَبْوابِ بِدِقَّـةٍ وَ قالَ : « لا يُمْكِنُ لِمَخْلوقٍ أَنْ يَدْخُلَ غُرْفَتَيْكُما لَيْلًا مِنَ ٱلمَمَرِّ ما دُمْتُما تُغْلِقانِ ٱلبابَ بِٱلمِفْتاحِ . »

أَغْلَقْنا ٱلنَّوافِذَ ، وَخَرَجْنا إِلى ٱلحَديقَةِ ، وَ حاوَلَ هُولمْز أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَيَّةِ نافِذَةٍ بِٱلقُوَّةِ ، لٰـكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَقالَ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ تَوْجيهُ أَيِّ لَوْمٍ إِلى ٱلغَجَرِ . لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هٰـذِهِ ٱلنَّوافِذِ وَهِيَ مُغْلَقَةٌ . يَجِبُ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ ٱلجاني داخِلَ ٱلمَنْزِلِ . »

عُدْنا ثانيةً إِلى غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ، حَيْثُ تُوُفِّيَتْ جُولْيا ٱلمِسْكينةُ . كانَ بِٱلغُرْفَةِ

مِنْضَدَةٌ صَغيرةٌ وَ مَقْعَدانِ ، وَ سَريرٌ يَشْغَلُ مُعْظَمَ ٱلغُرْفةِ ٱلصَّغيرةِ . وَ وَضَعَ هُولمْز أَحَدَ ٱلمَقْعَدَيْنِ في رُكْنٍ مِنَ ٱلغُرْفةِ وَ جلَسَ فَوْقَهُ ، وَ أَخَذَ يَتَفَحَّصُ ٱلمَكانَ بِنَظَرِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخرى . لَمْ يَتْرُكْ جُزْءًا مِنَ ٱلغُرْفةِ إلّا تَأَمَّلَهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ، ثُمَّ سَأَلَ : « عِنْدَما يَدُقُّ ذٰلِكَ ٱلجَرَسُ ، مَنِ ٱلَّذي يَسْتَجيبُ لِدَقّاتِهِ ؟ » وَ أَشارَ إلى حَبْلِ ٱلجَرَسِ ٱلسَّميكِ ٱلَّذي يَتَدَلّى بِجانِبِ ٱلفِراشِ ، وَ كانَ طَرَفُهُ يَسْتَقِرُّ فَوْقَ ٱلسَّريرِ .

أَجابَتْ : « إنَّهُ يَدُقُّ في غُرْفَةِ ٱلخَدَمِ . »

« إنَّهُ لا يَبْدو قَديمًا مِثْلَ بَقِيَّةِ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي في ٱلغُرْفَةِ . »

« هٰذا صَحيحٌ ... لَقَدْ وُضِعَ هُنا مُنْذُ عامَيْنِ فَقَطْ . »

« هَلْ طَلَبَتْ أُخْتُكِ وَضْعَهُ ؟ »

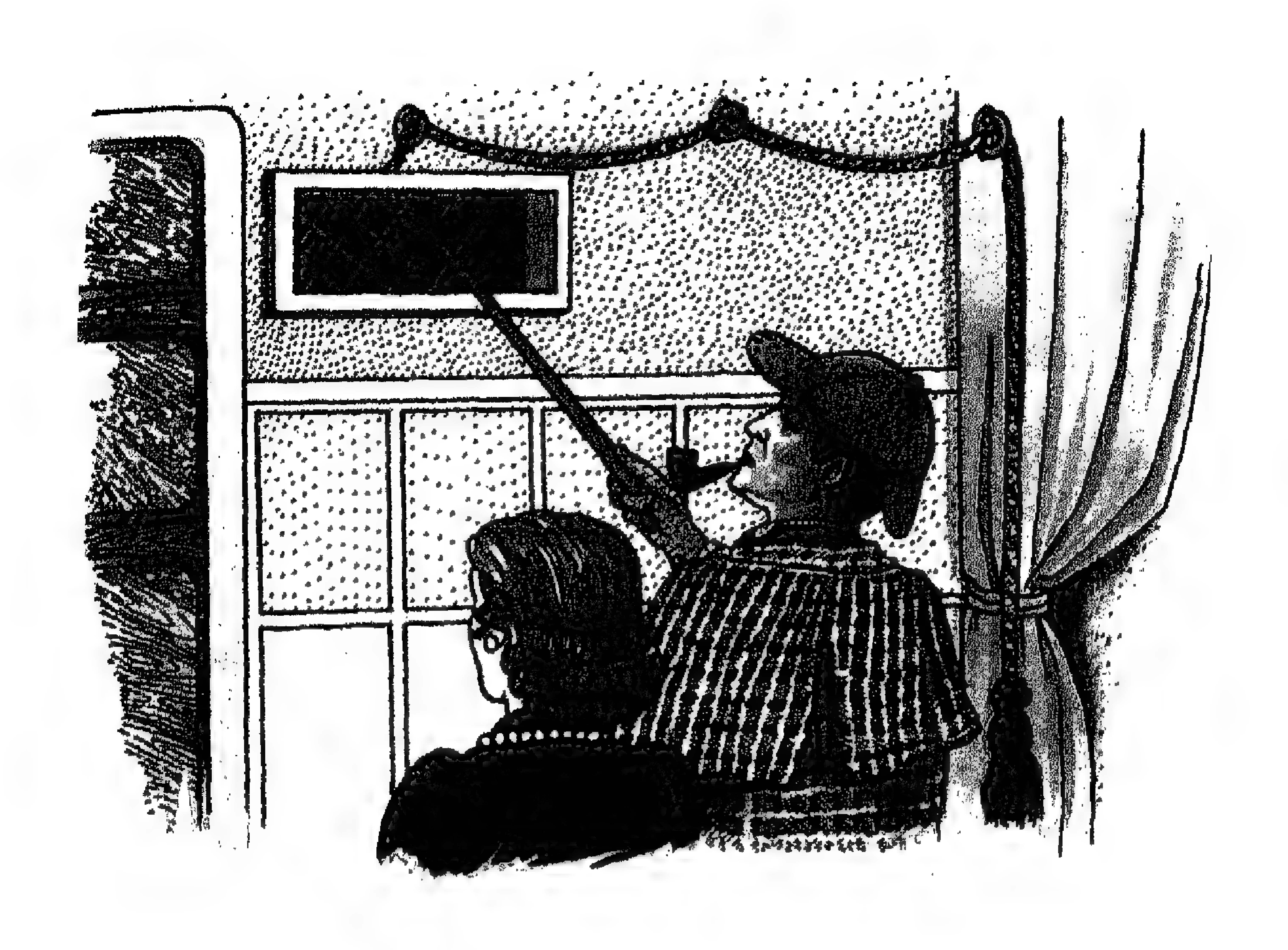
« كَلّا ، أنا واثِقَةٌ أَنَّها لَمْ تَسْتَعْمِلْهُ أَبَدًا . نَحْنُ نَخْدُمُ أَنْفُسَنا بِأَنْفُسِنا .. فَعادةً لا يُوجَدُ خَدَمٌ بِٱلمَنْزِلِ . »

« إذًا فَلَمْ تَكُنْ هُناكَ حاجَةٌ إلى جَرَسٍ جَديدٍ . »

سارَ هُولمْز إلى ٱلفِراشِ ، وَ ظَلَّ يَتَطَلَّعُ إلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ حَبْلَ ٱلجَرَسِ بِيَدِهِ وَ جَذَبَهُ ، وقالَ بِدَهْشَةٍ : « ما هٰذا ؟ إنَّهُ لَيْسَ جَرَسًا حَقيقِيًّا ! »

« أَلا يَدُقُّ ؟ »

« لا ، بَلْ إنَّهُ لا يَتَّصِلُ بِأَيِّ شَيْءٍ . يا لَهُ مِنْ أَمْرٍ مُثيرٍ جِدًّا ! إنَّهُ مُثَبَّتٌ في



ٱلحائِطِ بِمِسْمارٍ فَوْقَ فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ ٱلصَّغيرَةِ مُباشَرَةً . »

قالَتِ ٱلفَتاةُ : « يا لَلْغَباءِ ! إِنَّني لَمْ أَلْحَظْ هٰذا مِنْ قَبْلُ . »

قالَ هُولمْز في حَيْرَةٍ : « شَيْءٌ غَريبٌ أَنْ تَكونَ فُتْحَةُ ٱلتَّهْوِيَةِ مُتَّصِلَةً بِغُرْفَةٍ أُخرى ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تُطِلَّ عَلى ٱلخارِجِ لِيَدْخُلَ مِنْها ٱلهَواءُ ٱلنَّقِيُّ . »

« إِنَّ هٰذِهِ ٱلفُتْحَةَ جَديدَةٌ تَمامًا هِيَ ٱلأُخرى . »

سَأَلَها هُولمْز : « هَلْ تَمَّ فَتْحُها في ٱلوَقْتِ نَفْسِهِ ٱلَّذي تَمَّ فِيهِ وَضْعُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ؟ »

«نَعَمْ ، وَكانَتْ هُناكَ تَعْديلاتٌ بَسيطَةٌ تَمَّتْ في نَفْسِ ٱلوَقْتِ .»

ذَهَبْنا إلى غُرْفَةِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت . كانَتْ مُؤَثَّثَةً بِأَثاثٍ بَسيطٍ ، لٰكِنَّها كانَتْ أَوْسَعَ مِنَ ٱلغُرْفَتَيْنِ ٱلأُخْرَيَيْنِ . كانَتْ هُناكَ مِنْضَدَةٌ مُسْتَديرةٌ ،وَمَقْعَدٌ مُريحٌ ، وَصُنْدوقٌ حَديديٌّ بِجِوارِ ٱلحائِطِ .

دارَ هُولمْز بِبُطْءٍ في أَنْحاءِ ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرى ، وَفَحَصَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِنايَةٍ شَديدَةٍ . وَلَمَسَ ٱلصُّنْدوقَ وَسَأَلَ : «ماذا يُوجَدُ هُنا ؟»

«أَوْراقُ زَوْجِ أُمِّي .»

«مَعْنى هٰذا أَنَّكِ رَأَيْتِ ما بِداخِلِهِ ؟»

«مَرَّةً واحِدَةً فَقَطْ مُنْذُ عِدَّةِ سَنَواتٍ ، وَأَذْكُرُ أَنَّهُ كانَ مُمْتَلِئًا بِٱلأَوْراقِ .»

«مَثلًا ، أَلا يُوجَدُ قِطٌّ بِداخِلِهِ ؟»

«لا ... يا لَها مِنْ فِكْرةٍ غَريبَةٍ !»

«حَسَنًا ، اُنْظري إلى هٰذا .» ثُمَّ أَشارَ إلى إناءٍ صَغيرٍ بِهِ لَبَنٌ كانَ مَوْضوعًا فَوْقَ ٱلصُّنْدوقِ .

قالَتْ : «تُوجَدُ حَيَواناتٌ كَثيرَةٌ في أَنْحاءِ ٱلمَكانِ ، وَلٰكِنَّها أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَشْرَبَ مِنْ هٰذا ٱلإِناءِ .»

قالَ هُولمْز : «لَقَدْ قُلْتِ إِنَّ هُناكَ ثُعْبانًا بِٱلمَنْزِلِ .. أَظُنُّ أَنِّي رَأَيْتُ ما فيهِ ٱلكِفايَةُ يا آنِسةُ سْتُونَر . أَتَسْمَحينَ أَنْ نَعودَ إلى ٱلحَديقَةِ ؟»

غادَرْنا غُرْفةَ ٱلطَّبيبِ . وَكانَتْ تِلْكَ إِحْدى ٱلمَرّاتِ ٱلَّتي رَأَيْتُ فيها وَجْهَ صَديقي هُولمْز مُكْفَهِرًّا ، وَٱلغَضَبَ في عَيْنَيْهِ . سِرْنا عِدَّةَ دَقائِق ، قَبْلَ أَنْ يُعاوِدَ ٱلحَديثَ مَرَّةً أُخْرى قائِلًا لَها : « مِنَ ٱلمُهِمِّ يا آنِسةُ سْتُونَر أَنْ تُنَفِّذي ما أُشيرُ بِهِ عَلَيْكِ . »

قالَتْ : « سَأَفْعَلُ هٰذا بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« اَلأَمْرُ خَطيرٌ جِدًّا ، وَحَياتُكِ تَتَوَقَّفُ عَلى طاعَتِكِ لي طاعَةً مُطْلَقَةً . »

« سَأُنَفِّذُ كُلَّ ما تَطْلُبُ . »

« أَوَّلًا يَجِبُ أَن أَقْضِيَ ، أَنا وَصَديقي واطْسُن ، هٰذِهِ ٱللَّيلةَ في غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ٱلَّتي كانَتْ تَشْغَلُها أُخْتُكِ . »

وَتَطَلَّعْتُ إِلَيْهِ أَنا وَٱلآنِسةُ سْتُونَر في دَهْشَةٍ .

« نَعَمْ ، هٰذا أَمْرٌ لا بُدَّ مِنْهُ . دَعيني أَشْرَحْ لَكِ . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُوجَدُ في هٰذِهِ ٱلقَرْيَةِ فُنْدقٌ قَريبٌ مِنْ هُنا . »

« هٰذا صَحيحٌ . يُوجَدُ فُنْدُقُ ٱلتّاجِ . »

« حَسَنًا ! وأَعْتَقِدُ أَنَّ نَوافِذَ غُرْفَتَيْكُما يُمْكِنُ رُؤْيَتُها مِنْ ذٰلِكَ ٱلفُنْدُقِ ؟ »

« بِكُلِّ تَأْكيدٍ . »

« يَجِبُ أَنْ تَذْهَبي مُبَكِّرًا إلى غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَلا تُقابِلي زَوْجَ أُمِّكِ . وَعِنْدَما تَسْمَعينَهُ يَأْوي إلى فِراشِهِ ، اِفْتَحي النّافِذَةَ ، وَضَعي بِها مِصْباحًا مُضيئًا كَإِشارَةٍ لَنا ، ثُمَّ غادِري ٱلغُرْفَةَ وَاذْهَبي إلى غُرْفَتِكِ . »

« أُريدُ أَنْ أَعْرِفَ ماذا تَنْوي ؟ »

« سَنَجيءُ مِنَ ٱلفُنْدُقِ ٱلقَريبِ ، وَنَقْضي ٱللَّيْلَةَ في غُرْفَةِ أُخْتِكِ ، وَسَنُصْغي جَيِّدًا لَعَلَّنا نَسْمَعُ ٱلأَصْواتَ الَّتي أَثارَتْ رُعْبَكِ . »

« أَعْتَقِدُ يا سَيِّدُ هُولمْز أَنَّكَ تَوَصَّلْتَ لِما كُنْتَ تَبْحَثُ عَنْهُ . »

« ربَّما أَكونُ قَدْ تَوَصَّلْتُ إلى ذٰلِكَ . »

« إذًا أَرْجوكَ .. أَرْجوكَ أَنْ تُخْبِرَني كَيْفَ ماتَتْ أُخْتي . »

« يَجِبُ أَنْ أَتَأَكَّدَ قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكِ بِشَيْءٍ . »

« هَلْ تَظُنُّ أَنَّها ماتَتْ مِنَ ٱلرُّعْبِ ؟ »

« لا ، لا أَظُنُّ ذٰلِكَ . وَٱلآنَ يَجِبُ أَنْ نَذْهَبَ نَحْنُ يا آنِسةُ سْتُونَر . إذا عادَ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت وَرَآنا هُنا ، فَشِلَتْ خُطَّتُنا . إلى ٱللِّقاءِ ! تَمَسَّكي بِٱلشَّجاعةِ وَتَأَكَّدي مِنْ أَنَّكِ إذا فَعَلْتِ ما طَلَبْتُهُ مِنْكِ ، أَبْعَدْنا عَنْكِ كُلَّ خَطَرٍ ، وستَعيشينَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَمانٍ تامٍّ . »

حَصَلْتُ أَنا وَشِرْلُوك هُولمْز عَلى غُرْفةٍ في فُنْدُقِ ٱلتّاجِ . كانَتْ في ٱلطّابَقِ ٱلأَوَّلِ ، وَكانَ في اسْتِطاعَتِنا أَنْ نَرى ٱلبَيْتَ بِسُهولةٍ جِدًّا .

«هَلْ تَعْرِفُ يا واطْسُن أَنَّهُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَلَّا تَأْتِيَ مَعي ٱللَّيْلَةَ ؟ فَأَنا أَخْشى أَنْ يَكونَ هُناكَ خَطَرٌ ما .»

فَسَأَلْتُهُ : «هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أُسَاعِدَكَ في شَيْءٍ ؟»

«يَجِبُ أَنْ أَكونَ صادِقًا مَعَكَ : إِنَّني أَحْتاجُ إِلَيْكَ بِشِدَّةٍ .»

«إِذًا سَأَذْهَبُ مَعَكَ بِٱلتَّأْكيدِ .»

«وَأَنا سَأَكونُ شاكِرًا لَكَ كُلَّ ٱلشُّكْرِ .»

«إِنَّكَ تَتَحَدَّثُ عَنْ خَطَرٍ ، فَيَبْدُو أَنَّكَ رَأَيْتَ في تِلْكَ ٱلغُرْفَةِ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَطَعْتُ أَنا أَنْ أَرى .»

«حَسَنًا ، كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّنا سَنَجِدُ فُتْحةً لِلتَّهْوِيَةِ قَبْلَ أَنْ نَجيءَ أَصْلًا إِلى ٱلمَنْزِلِ .»

«أَنْتَ رائِعٌ يا هُولمْز !»

«نَعَمْ ، كُنْتُ أَعْرِفُ .. أَلا تَتَذَكَّرُ أَنَّ هِيلِين سْتُونَر قالَتْ إِنَّ أُخْتَها كانَتْ تَشُمُّ رائِحةَ سَجائِرِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ؟ وَعِنْدَما كانَ رِجالُ ٱلشُّرطةِ يُحَقِّقونَ في حادِثِ مَوْتِ أُخْتِها ، لَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ عَنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، لِذٰلِكَ اسْتَنْتَجْتُ أَنَّها لا بُدَّ أَنْ تَكونَ فُتْحَةً صَغيرَةً .»

«لٰكِنْ هَلْ هُناكَ أَهَمِّيَّةٌ لِكُلِّ هٰذا ؟»

فَسَأَلَني هُولمْز : «أَلا تَرى مَعي أَنَّ هُناكَ تَساؤُلاتٍ كَثيرةً تَطْرَحُ نَفْسَها ؟

لِماذا تَمَّ عَمَلُ فُتْحةٍ لِلتَّهْوِيةِ في ٱلوَقْتِ الَّذي تَمَّ فيهِ تَعْليقُ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ؟ وَعَقِبَ ذٰلِكَ ماتَتِ ٱلسَّيِّدةُ الَّتي تَنامُ في هٰذا ٱلفِراشِ ؟ »

« ما زالَ ٱلأَمْرُ غامِضًا بِٱلنِّسْبةِ لي . »

« أَ لَمْ تُلاحِظْ أَنَّ السَّريرَ كانَ مُثَبَّتًا بِٱلمَساميرِ إلى ٱلأَرْضِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ في اسْتِطاعةِ ٱلسَّيِّدةِ تَحْريكُ سَريرِها مِنْ مَكانِهِ ؟ ! وَكَأَنَّهُ كانَ مُحَدَّدًا أَنْ يَبْقى هُناكَ بِجِوارِ حَبْلِ ٱلجَرَسِ ، وَتَحْتَ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ! »

صِحْتُ : « هُولمْز .. لَقَدْ بَدَأْتُ أَفْهَمُ ! لَقَدْ جِئْنا هُنا في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ لِنَمْنَعَ جَريمةَ قَتْلٍ أُخرى . »

« هٰذا صَحيحٌ ، وَعَلَيْنا أَنْ نُواجِهَ ، في سَبيلِ هٰذا ، لَيْلةً مُخيفةً . »

– ١١ –

كانَ ٱلظَّلامُ يُخَيِّمُ عَلى ٱلبَيْتِ الَّذي كُنَّا نُراقِبُهُ ، وَمَرَّتِ ٱلسَّاعاتُ بَطيئةً . وَفَجْأَةً ، عِنْدَما دَقَّتِ السَّاعةُ ٱلحادِيَةَ عَشْرَةَ ، ظَهَرَتْ أَمامَنا شُعْلةُ نورٍ مُتَلأْلِئةٌ .

قالَ هُولمْز وَهُوَ يَقْفِزُ واقِفًا : « هٰذِهِ هِيَ ٱلإِشارةُ ! إِنَّها تَصْدُرُ مِنَ ٱلنَّافِذةِ الَّتي إلى ٱليَمينِ . »

لَمْ تَمْضِ لَحَظاتٌ حَتَّى كُنَّا نُسْرِعُ في ٱلطَّريقِ ٱلمُظْلِمِ ، وَٱلرِّيحُ ٱلبارِدةُ تَهُبُّ عَلى وَجْهَيْنا ، وَشُعْلةُ ضَوْءٍ تَقودُنا إلى مَصيرِنا . وَوَصَلْنا إلى ٱلحَديقةِ ، وَمَشَيْنا فيها بِهُدوءٍ ، ثُمَّ تَسَلَّلْنا إلى داخِلِ ٱلبَيْتِ ، وَأَغْلَقْنا ٱلنَّافِذةَ . وَضَعْنا

آلمِصْباحَ فَوْقَ آلمائِدَةِ . وَنَظَرَ هُولمْز حَوْلَهُ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ تَغَيَّرَ شَيْءٌ في آلغُرْفَةِ . وَهَمَسَ لي : «يَجِبُ أَلَّا نُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ .»

هَزَزْتُ لَهُ رَأْسي بِآلإِيْجابِ .

«وَيَجِبُ أَنْ نَبْقى بِغَيْرِ ضَوْءٍ ، فَقَدْ يَراهُ مِنْ فُتْحَةِ آلتَّهْوِيَةِ .»

مَرَّةً ثانيةً أَشَرْتُ لَهُ أَنَّني أُوافِقُهُ .

«تَنَبَّهْ جَيِّدًا ، فَحَياتُكَ في خَطَرٍ . كُنْ مُسْتَعِدًّا بِمُسَدَّسِكَ . سَأَجْلِسُ عَلى آلفِراشِ ، وَتَجْلِسُ أَنْتَ عَلى آلمَقْعَدِ .»

أَخْرَجْتُ مُسَدَّسي وَوَضَعْتُهُ فَوْقَ آلمائِدَةِ .

كانَ هُولمْز قَدْ أَحْضَرَ عَصًا طَوِيلَةً رَفيعَةً ، وَضَعَها بِجِوارِهِ عَلى آلفِراشِ ، مَعَ عُلْبَةِ ثِقابٍ ، ثُمَّ أَطْفَأَ آلمِصْباحَ فَسادَ آلظَّلامُ آلحُجْرَةَ .

– ١٢ –

كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ أَنْسى تِلْكَ آلسَّاعاتِ آلمُخيفَةَ ؟ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ هُولمْز يَجْلِسُ بِآلقُرْبِ مِنِّي وَعَيْناهُ مَفْتوحَتانِ ، يُصْغي وَيُراقِبُ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ آلقَلَقُ مِثْلي . كانَ آلظَّلامُ حالِكًا ، وَتَرامَتْ إِلى أَسْماعِنا مِنَ آلخارِجِ صَيْحَةٌ مُعْتادَةٌ لِطائِرٍ لَيْلِيٍّ ، وَمِنْ بَعيدٍ كانَتْ ساعَةُ آلمَدينَةِ تَدُقُّ كُلَّ رُبْعِ ساعَةٍ . وَكُنَّا نُحِسُّ بِأَنَّ هٰذِهِ آلأَرْباعَ طَويلَةٌ جِدًّا .. آلسَّاعَةُ آلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ .. آلواحِدَةُ .. آلثَّانِيَةُ ثُمَّ آلثَّالِثَةُ .. وَنَحْنُ جالِسانِ نَنْتَظِرُ في هُدوءٍ أَيَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ .

فَجْأَةً ، ظَهَرَ ضَوْءٌ مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ثُمَّ سَمِعْنا صَلِيلَ سِلْسِلةٍ ثُمَّ صَوْتًا خافِتًا جِدًّا ، كَأَنَّهُ صَوْتُ بُخارٍ يَخْرُجُ مِنْ إناءٍ . وَما إنْ سَمِعَ هُولمْز ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ ، حَتّى قَفَزَ مِنْ فَوْقِ ٱلفِراشِ وَأَشْعَلَ عُودًا مِنَ ٱلثِّقابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَضْرِبُ بِعَصاهُ بِسُرْعَةٍ وَعُنْفٍ .

صاحَ : « هَلْ رَأَيْتَهُ يا واطْسُن ؟ هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ »

لٰكِنَّني لَمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا ، وَسَمِعْتُ صَفيرًا خافِتًا واضِحًا . وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَرى وَجْهَ هُولمْز : كانَ شاحِبًا شُحوبَ ٱلمَوْتى ، وَقَدْ شاعَ فيهِ ٱلرُّعْبُ وَٱلبُغْضُ . وَتَناوَلَ ٱلمِصْباحَ وَأَشْعَلَهُ وَوَقَفَ هُولمْز ساكِنًا يَنْظُرُ إلى فُتْحَةِ ٱلتَّهْوِيَةِ . وَفَجْأَةً ٱرْتَفَعَتْ أَشَدُّ صَرْخَةِ رُعْبٍ سَمِعْتُها في حَياتي ، وَتَعالَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، وَقَدِ اخْتَلَطَ فيها ٱلأَلَمُ بِٱلخَوْفِ وَٱلغَضَبِ . وَسَرَتِ ٱلبُرودةُ في جِسْمي كُلِّهِ عِنْدَ سَماعِها . أَخيرًا ، سَكَتَتِ ٱلصَّرْخةُ ، وَخيَّمَ ٱلسُّكونُ .

هَمَسْتُ : « ما مَعْنى هٰذا ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « مَعْناهُ أَنَّ ٱلقَضيَّةَ ٱنْتَهَتْ ؛ وَلَعَلَّ هٰذِهِ ٱلنِّهايَةَ أَفْضَلُ نَتيجَةٍ لِلْقَضِيَّةِ . تَناوَلْ مُسَدَّسكَ ؛ فَيَجِبُ أَنْ نَدْخُلَ غُرْفَةَ ٱلدُّكْتورِ رُويْلوت . »

أَخَذْنا ٱلمِصْباحَ وَدَخَلْنا غُرْفَةَ ٱلطَّبيبِ . كانَ مُسَدَّسي في يَدي مُعَدًّا لِلإِطْلاقِ . وَوَجَدْنا مِصْباحًا مُضاءً مَوْضوعًا عَلى ٱلمائِدةِ ، وَكانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلحَديدِيُّ مَفْتوحًا ، وَٱلطَّبيبُ جالِسًا عَلى مَقْعَدٍ . كانَ رَأْسُهُ مُنْتَصِبًا إلى أَعْلى ، وَعَيْناهُ ثابِتَتَيْنِ تُحَدِّقانِ في رُعْبٍ وَفَزَعٍ ، وَحَوْلَ رَأْسِهِ عِصابةٌ صَفْراءُ



ذاتُ نُقَطٍ بُنِّيَّةٍ . وَعِنْدَما دَخَلْنا ٱلغُرْفَةَ لَمْ تَصْدُرْ عَنْهُ أَيَّةُ حَرَكَةٍ .

هَمَسَ هُولمْز : «ٱلعِصابَةُ ! ٱلعِصابَةُ ٱلمُرَقَّطَةُ ! »

تَقَدَّمْتُ خُطْوَةً ، وَفي ٱلحالِ ، تَحَرَّكَتِ ٱلعِصابَةُ ... وَكانَتْ ثُعْبانًا .

صاحَ هُولمْز : «إِنَّها أَخْطَرُ ثَعابِيْنِ ٱلهِنْدِ ! إِنَّها ٱلحَيَّةُ ٱلرَّقْطاءُ ! مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّهُ ماتَ بَعْدَ عَشْرِ ثَوانٍ مِنْ لَدْغَتِها . »

وَعِنْدَما تَحَرَّكَ ٱلثُّعْبانُ ناحِيَتَنا ، أَطْلَقْتُ ٱلنّارَ عَلى رَأْسِهِ ، وَكُنْتُ أَرْتَجِفُ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ . وَبَدا أَنَّ صَوْتَ ٱلطَّلْقَةِ أَيْقَظَنا مِنْ كابُوسٍ مُخِيْفٍ .

سَمِعَتِ ٱلفَتاةُ ٱلمَرْعوبةُ صَوْتَ ٱلطَّلْقَةِ ، فَصاحَتْ تَطْلُبُ ٱلعَوْنَ مِنّا . وَطَمْأَنَها هُولمْز ، وَأَخْبَرَها أَنَّ ٱلأَمْرَ ٱنْتَهى ، وَأَنَّهُ لا خَطَرَ عَلَيْها بَعْدَ ذٰلِكَ ، ثُمَّ رَوى لَها ٱلقِصَّةَ .

قالَ : «لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ ٱلخَطَرَ يَكْمُنُ في فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ وَحَبْلِ ٱلجَرَسِ . عَرَفْتُ أَنَّ شَيْئًا ما يَأْتي مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، وَأَنَّ حَبْلَ ٱلجَرَسِ قَدْ تَمَّ وَضْعُهُ هُناكَ لِيَقودَ هٰذا ٱلشَّيْءَ إِلى ٱلفِراشِ . »

صاحَتِ ٱلفَتاةُ : «ٱلثُّعْبانُ ! أَ كُنْتَ تَعْرِفُ أَمْرَ ٱلثُّعْبانِ ؟ »

«نَعَمْ ، وَهٰذا ٱلنَّوْعُ مِنَ ٱلثَّعابِينِ ٱلسّامَّةِ لَهُ لَدْغةٌ لا يُمْكِنُ ٱكْتِشافُها . لَقَدِ ٱسْتَخْدَمَ هٰذا ٱلرَّجُلُ ٱلذَّكِيُّ خِبْرَتَهُ ٱلَّتي ٱكْتَسَبَها مِنَ ٱلهِنْدِ ، لِيَقْتُلَ . لَقَدْ عَلَّمَ ٱلثُّعْبانَ أَنْ يُطيعَ ٱلصَّفيرَ ٱلَّذي سَمِعْتِهِ ، فَكانَ يَعودُ إِلى سَيِّدِهِ كُلَّما سَمِعَ ذٰلِكَ

ٱلصَّفيرَ ، فيُقَدِّمُ لَهُ ٱلدُّكْتُور رُويْلُوت وِعاءَ ٱللَّبَنِ .

« وَ كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ إدْخالُهُ في فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، في وَقْتٍ يَتِمُّ اخْتيارُهُ وَ تَحْديدُهُ ؛ وَ كانَ ٱلطَّبيبُ واثِقًا أَنَّ ٱلثُّعْبانَ سَيَهْبِطُ عَلى ٱلحَبْلِ وَ يَسْتَقِرُّ فَوْقَ ٱلفِراشِ ، ثُمَّ يَلْدَغُ ٱلشَّخْصَ ٱلرَّاقِدَ هُناكَ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَحَرَّكَ .

« وَ كانَ يَحْتَفِظُ بِٱلثُّعبانِ في ٱلصُّنْدوقِ ٱلحَديديِّ ، ٱلَّذي يُحْدِثُ عِنْدَ إغْلاقِهِ صَوْتَ ٱلشَّيْءِ ٱلمَعْدِنيِّ ٱلَّذي سَمِعْناهُ .

« لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ٱلفَحيحِ عِنْدَما تَسَلَّلَ ٱلثُّعْبانُ مِنْ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّني كُنْتُ عَلى صَوابٍ في كُلِّ اسْتِنْتاجاتي . فَهاجَمْتُ ٱلثُّعْبانَ بِعَصايَ ، وَ أَرْغَمْتُهُ عَلى ٱلعَوْدةِ مِنْ خِلالِ فُتْحةِ ٱلتَّهْوِيةِ ، وَ أَثارَ هٰذا غَضَبَ ٱلثُّعْبانِ ، لِذٰلِكَ عادَ إلى ٱلطَّبيبِ مُباشَرةً وَ لَدَغَهُ .

« وَلَعَلَّني أَكونُ بِذٰلِكَ قَدْ قَتَلْتُ ٱلطَّبيبَ ، لٰكِنْ لا أَسْتَطيعُ ٱلقَوْلَ إنَّني أَشْعُرُ بِأَيِّ أَسَفٍ لِذٰلِكَ . »

هٰذِهِ هِيَ ٱلوَقائِعُ ٱلحَقيقِيَّةُ لِمَوْتِ ٱلدُّكْتور رُويْلُوت ؛ وَ هُنا تَنْتَهي قِصَّتي .

بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسُ

– ١ –

جَلَسَ إلْياس أُوبِنْشو إلى مائِدةِ ٱلإفْطارِ ، يَتأمَّلُ خِطابًا كانَ مَوْضوعًا بِجِوارِ طَبَقِهِ . تَناوَلَهُ قائِلًا : «إنَّهُ مِنَ ٱلهِنْدِ ! هٰذا خاتَمُ بَريدِ بُونْدشِيري ! تُرى ماذا يَحْوي ؟»

فَتَحَ ٱلخِطابَ فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ بُذورٍ .. بُذورِ بُرْتُقالٍ .. شَيْءٌ غَريبٌ ! وَ ضَحِكَ ٱلشّابُّ ٱلَّذي يَجْلِسُ مَعَ عَمِّهِ إلْياس إلى ٱلمائدةِ ، لٰكِنَّ ضَحْكَتَهُ تَلاشَتْ فَوْقَ شَفَتَيْهِ عِنْدَما رَأى وَجْهَ عَمِّهِ .

لَقَدْ فَتَحَ إلْياس أُوبِنْشو فَمَهُ ، وَ جَحَظَتْ عَيْناهُ ، وَ شَحَبَ لَوْنُهُ ، وَٱرْتَجَفَتْ يَداهُ وَهُوَ يُمْسِكُ بِٱلخِطابِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَئِنُّ : «ك . ك . ك . !» وَ صاحَ فَجْأَةً : «يا إلٰهي ! لَقَدْ وَجَدَني ! ماذا أَفْعَلُ ؟!»

صاحَ ٱلشّابُّ : «ما ٱلأَمْرُ يا عَمّي ؟»

قالَ إلْياس : «اَلمَوْتُ !» ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فَوْقِ كُرْسِيِّهِ ، وَ غادَرَ ٱلغُرْفَةَ تارِكًا ٱلشّابَّ جُون أُوبِنْشو حائِرًا ، وَ قَدْ تَمَلَّكَهُ خَوْفٌ شَديدٌ .

اِلْتَقَطَ جُون ٱلخِطابَ . كانَ حَرْفُ «ك» مَكْتوبًا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَ لا شَيْءَ آخَرَ سِوى بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ٱلجافَّةِ . وَ لَمْ يَجِدْ جُون في هٰذا سَبَبًا كافِيًا لِكُلِّ هٰذا ٱلرُّعْبِ ٱلَّذي أَصابَ عَمَّهُ .

غادَرَ جُون مائِدةَ ٱلإفْطارِ . وَبَيْنَما كانَ يَصْعَدُ ٱلسُّلَّمَ قابَلَ عَمَّهُ يَهْبِطُ مُمْسِكًا بإحْدى يَدَيْهِ مِفْتاحًا ضَخْمًا ، وَ بِاليَدِ ٱلأُخْرى صُنْدوقًا أَسْودَ صَغيرًا .

قالَ ٱلعَمُّ في غَضَبٍ : « لِيَفْعَلوا ما يُريدونَ ، لٰكِنِّي سَأَنْتَصِرُ في ٱلنِّهايَةِ . قُلْ لِلْخادِمةِ ماري أَنْ تُشْعِلَ ٱلنَّارَ في مِدْفَأَةِ غُرْفَتي ٱللَّيْلَةَ ، ثُمَّ ٱبْعَثْ في طَلَبِ ٱلمُحامي فُوردهام . » فَهَزَّ جُون رَأْسَهُ مُوافِقًا .

كانَ جُون يَعيشُ مَعَ عَمِّهِ إِلْياس مُنْذُ كانَ في ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ . فَقَدْ عادَ عَمُّهُ إِلى إِنجِلْتِرا عامَ ١٨٧٠ ، بَعْدَ أَنْ قَضى مُعْظَمَ حَياتِهِ في أَمْريكا ، شارَكَ خِلالَها في ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ ٱلأَمْريكِيَّةِ (١٨٦١ – ١٨٦٥) .

بَعْدَ أَنِ ٱنْتَهَتِ ٱلحَرْبُ ، أَقامَ في فْلُوريدا . وَ بَعْدَ أَنْ كَوَّنَ ثَرْوَةً طائِلَةً ، قَرَّرَ أَنْ يَعودَ إِلى إِنجِلْتِرا ، حَيْثُ ٱشْتَرى مَنْزِلًا جَميلًا ، وَ قِطْعَةَ أَرْضٍ في مَدينَةٍ صَغيرةٍ تُسَمَّى هُورْشام . وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجةٌ أَوْ أَوْلادٌ ، فَطَلَبَ مِنْ أَخيهِ أَنْ يَسْمَحَ لِابْنِهِ جُون أَنْ يَعيشَ مَعَهُ . وَ كانَ شَديدَ ٱلعَطْفِ عَلى ٱلغُلامِ . وَ عِنْدَما بَلَغَ جُون ٱلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ ، أَصْبَحَ هُوَ ٱلمُشْرِفَ عَلى كُلِّ شُؤُونِ ٱلبَيْتِ تَقْريبًا . فَقَدْ كانَ يَحْتَفِظُ بِكُلِّ ٱلمَفاتيحِ ، وَ يُمْسِكُ ٱلحِساباتِ ، وَ يَذْهَبُ حَيْثُ يَشاءُ ، وَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ . فَقَدْ كانَ إِلْياس يُحِبُّ دائمًا ٱلانفِرادَ بِنَفْسِهِ .

كانَتْ في ٱلمَنْزِلِ غُرْفَةٌ واحِدَةٌ لَمْ يَسْمَحْ إِلْياس لِجُون بِدُخولِها . كانَتْ مُغْلَقَةً دائمًا بِالمِفْتاحِ ، وَ كانَ إِلْياس يَحْتَفِظُ بِمِفْتاحِها . وَ كَثيرًا ما قامَ جُون ، في مُناسَباتٍ عَديدةٍ ، مَدْفوعًا بِحُبِّ ٱلاسْتِطْلاعِ ٱلَّذي يُسَيْطِرُ عَلى ٱلصِّغارِ ،

بِالنَّظَرِ مِنْ ثَقْبِ ٱلبابِ ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَبَدًا أَنْ يَرى أَكْثَرَ مِنْ مَجْموعَةٍ مِنَ ٱلصَّناديقِ ٱلقَديمةِ .

— ٢ —

نَفَّذَ جُون تَعْليماتِ عَمِّهِ إِلْياس ، وَ أَرْسَلَ في طَلَبِ ٱلمُحامي . وَ عِنْدَما وَصَلَ ٱلمُحامي فُورْدهام صَعِدَ مَعَهُ إِلى ٱلغُرْفةِ ٱلَّتي قَضى بِها ٱلعَمُّ فَتْرَةَ ٱلصَّباحِ .

كانَتِ ٱلنَّارُ تَشْتَعِلُ بِشِدَّةٍ في ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ قَدْ تَناثَرَتْ حَوْلَها بَقايا سَوْداءُ لِأَوْراقٍ مُحْتَرِقَةٍ . وَ كانَ ٱلصُّنْدوقُ ٱلصَّغيرُ ، ٱلَّذي شاهَدَ جُون عَمَّهُ يَحْمِلُهُ ، مَفْتوحًا وَ فارِغًا .



عِنْدَما كانَ جُون يَتطَلَّعُ إلى ٱلصُّنْدوقِ ، لاحَظَ أَنَّ حَرْفَ ٱلكافِ مَكْتوبٌ عَلَيْهِ وَ مُكَرَّرٌ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، تَمامًا كَما سَبَقَ أَنْ شاهَدَهُ مَكْتوبًا في ٱلخِطابِ وَقْتَ تَناوُلِ ٱلإِفْطارِ .

قالَ إِلْياس : « أُريدُكَ يا فُورْدهام أَنْ تَكْتُبَ لي وَصِيَّتي . هاهِيَ ذي بَعْضُ ٱلأَوْراقِ بَيِّنْتُ لَكَ فيها مَنِ ٱلَّذي قَرَّرْتُ أَنْ يَرِثَ أَمْوالي وَ مُمْتَلَكاتي بَعْدَ وَفاتي . »

بَيْنَما كانَ فُورْدهام يَكْتُبُ ٱلوَصِيَّةَ ، قالَ إِلْياس لِجُون : « سَأَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ لِوالِدِكَ .. فَهُوَ أَخي . وَ لاشَكَّ في أَنَّهُ سَيَتْرُكُها لَكَ كُلَّها في ٱلوَقْتِ ٱلمُناسِبِ .. أَنا لا أَعْرِفُ ما سَيَحْدُثُ .. هَيَّا يا جُون لِتُوَقِّعَ عَلى ٱلوَرَقَةِ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي يُحَدِّدُهُ لَكَ ٱلسَّيِّدُ فُورْدهام . »

وَقَّعَ جُون عَلى ٱلوَصِيَّةِ ، كَشاهِدٍ عَلى تَوْقيعِ عَمِّهِ ، وَ أَخَذَ ٱلمُحامي ٱلوَصِيَّةَ مَعَهُ عِنْدَما ٱنصَرَفَ .

أَثارَتْ هٰذِهِ ٱلأَحْداثُ ٱلغَريبَةُ حَيْرَةَ جُون ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ كَلامَ عَمِّهِ ، لٰكِنْ كانَ يَبْدو لَهُ أَنَّ في ٱلأَمْرِ سِرًّا .

مَرَّتِ ٱلأَيَّامُ ، يَوْما بَعْدَ يَوْمٍ . وَ مَعَ مُرورِها ، بَدَأَ ٱهتِمامُ جُون وَ تَفْكيرُهُ في ٱلأَمْرِ يَقِلُّ شَيْئًا فَشَيْئًا ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي لَمْ يَحْدُثْ ما يُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ نِظامَ حَياتِهِ ٱلهادِئَةِ هُوَ وَ عَمِّهِ .

لاحَظَ جُون تَغَيُّرًا طَرَأَ عَلى عَمِّهِ ؛ فَقَدْ أَخَذَ يُكْثِرُ مِنَ ٱلشُّرْبِ ، وَ يُغْلِقُ غُرْفَتَهُ عَلى نَفْسِهِ ، عازِفًا عَنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَخْصٍ . وَ ذاتَ يَوْمٍ خَرَجَ عَمُّهُ مِنْ غُرْفَتِهِ

ثائِرًا غاضِبًا وَ آندَفَعَ إلى آلحَديقةِ وَ هُوَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ في يَدِهِ ، وَ يَصْرُخُ قائِلًا : «لِماذا يَجِبُ أَنْ أَعيشَ سَجينًا كَأَنَّني مُجْرِمٌ مَحْكومٌ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ ؟! أنا لا أَخافُ أَحَدًا ! »

وَ فَجْأَةً تَمَلَّكَهُ آلخَوْفُ ، فَآندَفَعَ عائِدًا إلى آلمَنْزِلِ ، وَ دَخَلَ غُرْفَتَهُ ، وَ أَغْلَقَ بابَهُ عَلى نَفْسِهِ مَرَّةً أُخْرى .

– ٣ –

ذاتَ لَيْلَةٍ سَمِعَ جُون صَرْخَةً ، فَغادَرَ فِراشَهُ مُسْرِعًا إلى غُرْفَةِ عَمِّهِ . كانَ آلبابُ مَفْتوحًا ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا بِالغُرْفَةِ . فَآنْدَفَعَ جُون ناحِيَةَ آلحَديقَةِ ، فَوَجَدَ آلبابَ آلمُؤَدِّيَ إلَيْها مَفْتوحًا عَلى مِصْراعَيْهِ .

ذَهَبَ جُون وَ أَيْقَظَ آلخادِمَ ، وَ أَخَذَ مِصْباحًا ، وَ خَرَجا يَبْحَثانِ عَنْ إلْياس أوبِنْشو .

أَخيرًا وَجَدَ عَمَّهُ في نِهايَةِ آلحَديقَةِ ، مُنْكَفِئًا عَلى وَجْهِهِ في بِرْكَةِ ماءٍ صَغيرَةٍ جِدًّا ، وَ قَدْ فارَقَتْهُ آلحَياةُ . لَمْ يَكُنْ عُمْقُ آلماءِ يَزيدُ عَلى نِصْفِ مِتْرٍ ، وَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ما يُشيرُ إلى حُدوثِ مُقاوَمَةٍ . وَ بِسَبَبِ سُلوكِهِ آلغَريبِ جِدًّا في آلأَشْهُرِ آلأَخيرَةِ ، فَقَدْ رَجَّحَ رِجالُ آلشُّرْطَةِ أَنَّهُ آنْتَحَرَ .

لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِـذٰلِكَ . كانَ يَعْرِفُ عَمَّهُ جَيِّدًا ، وَ كانَ يَعْرِفُ مَدى حِرْصِهِ عَلى حَياتِهِ . لِـذٰلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ أَنْ عَمَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُقْدِمَ عَلى آلمَوْتِ



بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ . لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ دَليلٌ عَلى أَنَّهُ قُتِلَ بِيَدِ شَخْصٍ آخَرَ ، أَوْ أَنَّ لَهُ أَعْداءً . وَ فَجْأَةً تَذَكَّرَ حادِثَةَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ .

هٰكَذا ٱنْتَهى ٱلأَمْرُ ، وَ آلَتْ إلى والِدِ جُون ثَرْوَةُ إِلْياس وَ بَيْتُهُ طِبْقًا لِلْوَصِيَّةِ . وَ قَرَّرَ ٱلأَبُ وَ ٱبْنُهُ جُون أَنْ يَعيشا في ٱلمَنْزِلِ .

عِنْدَما جاءَ ٱلأَبُ إلى ٱلمَنْزِلِ ، طَلَبَ مِنْهُ جُون أَنْ يَفْحَصا مَعًا بِعِنايَةٍ ٱلغُرْفَةَ ٱلَّتي كانَتْ مُغْلَقَةً بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ . لَمْ يَجِدا في داخِلِها غَيْرَ صُنْدوقٍ صَغيرٍ ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا وَرَقَةٌ كُتِبَ عَلَيْها ٱلحَرْفُ « ك » ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وَمَكْتوبٌ في أَسْفَلِها « رَسائِلُ وإيصالاتٌ » .

قالَ جُون لِوالِدِهِ : « لابُدَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلرَّسائِلَ وَ ٱلإيصالاتِ هِيَ ما سَبَقَ أَنْ أَحْرَقَهُ عَمِّي . »

— ٤ —

ظَلَّ جُون وَوالِدُهُ يَعيشانِ في سَعادَةٍ مُدَّةَ عامٍ بِأَكْمَلِهِ . وَ ذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانا يَجْلِسانِ إلى مائِدَةِ ٱلإِفْطارِ ، سَمِعَ جُون فَجْأَةً صَيْحَةَ دَهْشَةٍ حادَّةً ، فَنَظَرَ إلى والِدِهِ ، فَرَأى في يَدِهِ خِطابًا مَفْتوحًا ، وَ خَمْسَ بُذورِ بُرْتُقالٍ قَدِ ٱسْتَقَرَّتْ في طَبَقٍ أَمامَهُ .

كانَ ٱلأَبُ يَسْخَرُ دائِمًا مِنْ رِوايَةِ جُون عن إِلْياس وَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ ، لٰكِنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ ٱلآنَ عَلاماتُ ٱلحَيْرَةِ وَ ٱلخَوْفِ .

قالَ والِدُ جُون هامِسًا : « بِحَقِّ ٱلسَّماءِ ، ما مَعْنى هٰذا يا جُون ؟! »

أجابَ جُون مُكْتَئِبًا : «إنَّها آلـ ك . ك . ك .»

«هٰـذا ما يَقولُهُ ٱلخِطابُ . هاهِيَ ذي ٱلأَحْرُفُ ك . ك . ك . وَ جاءَ في ٱلخِطابِ أَنْ أَضَعَ ٱلأَوْراقَ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلحَجَرِيِّ . أَيَّةُ أَوْراقٍ يا جُون ؟ وَ أَيُّ مَقْعَدٍ حَجَرِيٍّ ؟»

قالَ جُون : «لا يُوجَدُ مَقْعَدٌ حَجَرِيٌّ إِلَّا في ٱلحَديقَةِ ، أَمَّا ٱلأَوْراقُ فَلا بُدَّ أَنْ تَكونَ تِلْكَ ٱلأَوْراقَ ٱلَّتي أَحْرَقَها عَمِّي إِلْياس .»

قالَ ٱلأَبُ وَ قَدِ ٱسْتَعادَ شَجاعَتَهُ : «حَسَنًا ، هٰـذا كُلُّهُ لا مَعْنَى لَهُ . مِنْ أَيْنَ جاءَ هٰـذا ٱلخِطابُ ؟»

وَ نَظَرَ جُون إِلى خاتَمِ ٱلبَريدِ وَ قالَ : «مِنْ دَنْدِي في ٱسْكُتْلَنْدا .»

«لِماذا يَكْتُبونَ إِلَيَّ عَنْ مَقاعِدَ حَجَرِيَّةٍ وَ أَوْراقٍ ؟ . لَنْ أُعيرَ مِثْلَ هٰـذا ٱلخِطابِ ٱلسَّخيفِ أَيَّ ٱهْتِمامٍ .»

قالَ جُون : «يَجِبُ أَنْ نُبْلِغَ ٱلشُّرْطَةَ .»

«لِكَيْ يَسْخَروا مِنَّا ؟! لا .. لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ هٰـذا .»

«إِذًا دَعْني أَنا أَذْهَبُ إِلَيْهِمْ .»

«لا .. إِنِّي أَمْنَعُكَ .» وَ أَدْرَكَ جُون أَنَّ والِدَهُ مُصَمِّمٌ عَلى رَأْيِهِ ، فَسَكَتَ .

وَ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ، قَرَّرَ والِدُهُ أَنْ يُسافِرَ لِزِيارَةِ صَديقٍ في مَكانٍ غَيْرِ بَعيدٍ .

وَ آرْتاحَ جُون لِـذٰلِكَ ، فَقَدِ آعْتَقَدَ أَنَّ أَباهُ سَيَكونُ في أَمانٍ عِدَّةَ أَيَّامٍ بَعيدًا عَنِ آلمَنْزِلِ .

لٰـكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَبَعْدَ يَوْمَيْنِ مِنْ سَفَرِ آلأَبِ ، تَسَلَّمَ جُون رِسالَةً تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ فَوْرًا إلى مَنْزِلِ آلصَّديقِ آلَّذي سافَرَ إلَيْهِ والِدُهُ .

هُناكَ قالَ لَهُ آلصَّديقُ في حُزْنٍ : « لَقَدْ سَقَطَ والِدُكَ مِنْ فَوْقِ صَخْرَةٍ عالِيَةٍ ، وَ وَجَدْتُهُ مُلْقًى هُناكَ ، لٰـكِنَّهُ ماتَ دونَ أَنْ يُخْبِرَني بِأَيِّ شَيْءٍ . »

– ٥ –

كانَ جُون واثِقًا أَنَّ وَفاةَ والِدِهِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ حادِثًا عارِضًا . وَ عِنْدَما ذَهَبَ إلى آلمَكانِ آلَّذي سَقَطَ مِنْهُ والِدُهُ ، لَمْ يَجِدْ هُناكَ آثارَ مُقاوَمَةٍ ، أَوْ آثارَ أَقْدامٍ ، وَ لَمْ يُسْرَقْ شَيْءٌ مِنْ جُيوبِ والِدِهِ ، وَ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَنْ شاهَدَ إنسانًا غَريبًا في آلمِنْطَقَةِ . وَ رَغْمَ ذٰلِكَ ، لَمْ يَقْتَنِعْ جُون بِأَنَّ والِدَهُ ماتَ مِيتَةً طَبيعِيَّةً كَما قالَ آلصَّديقُ . كانَ واثِقًا مِنْ أَنَّ هُناكَ مَنْ تَسَبَّبَ في وَفاتِهِ .

فَكَّرَ جُون في أَنْ يَتْرُكَ آلمَنْزِلَ آلَّذي كانَ يَوْمًا مِلْكًا لِعَمِّهِ إلْياس ثُمَّ لِوالِدِهِ . لِماذا لا يَبيعُهُ وَ يَذْهَبُ لِيَعيشَ في أَيِّ مَكانٍ بَعيـدٍ ، وَ يَهْرُبَ مِنَ آلمَصيرِ آلمُخيفِ آلَّذي أَخَذَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ بِبُطْءٍ ؟!

قالَ جُون لِنَفْسِهِ : « لا أَظُنُّ أَنَّ آلهَرَبَ مُمْكِنٌ . إنَّ كُلَّ ما حَدَثَ سَبَبُهُ شَيْءٌ ما فَعَلَهُ عَمّي إلْياس أَثْناءَ حَياتِهِ ، وَ هٰـذا مَصْدَرُ آلخَطَرِ آلَّذي سَيُلاحِقُني أَيْنَما كُنْتُ في هٰـذا آلبَيْتِ أَوْ في غَيْرِهِ . »



لِـذٰلِكَ واصَلَ ٱلعَيْشَ في نَفْسِ ٱلمَنْزِلِ مُدَّةً بَلَغَتْ حَوالَى ثَلاثَةِ أَعْوامٍ . كانَ سَعيدًا حَقًّا ، وَ كانَ يَنْسى في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بِالطَّريقَةِ ٱلغَريبَةِ ٱلَّتي ماتَ بِها عَمُّهُ وَ أَبوهُ . وَ كانَ يَظُنُّ أَحْيانًا أَنَّ ٱللَّعْنَةَ ٱلَّتي حَلَّتْ بِالعائِلَةِ قَدِ ٱنْتَهَتْ .

لٰـكِنَّهُ كانَ مُخْطِئًا . فَذاتَ صَباحٍ ، فَتَحَ خِطابًا ، فَسَقَطَتْ مِنْهُ خَمْسُ حَبّاتٍ مِنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ . اِرْتَمى جُون عَلى مَقْعَدٍ ، وَ شَرَدَ بِفِكْرِهِ لَحَظاتٍ ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ : « يَجِبُ ٱلآنَ أَنْ أَذْهَبَ إِلى رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ . يَجِبُ ٱتِّخاذُ إِجْراءٍ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ . » ثُمَّ طَرَأَتْ لَهُ فِكْرَةٌ أَفْضَلُ : لَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ سَمِعَ صَديقًا يَتَحَدَّثُ عَنْ مُخْبِرٍ سِرِّيٍّ بارِعٍ في عَمَلِهِ ، لَمْ يَفْشَلْ أَبَدًا في ٱلكَشْفِ عَنِ ٱلمُجْرِمينَ .

فِي ٱلحالِ ، ذَهَبَ جُون إلى صَديقِهِ ، وَحَدَّثَهُ في أَمْرِ ٱلمُخْبِرِ ٱلسِّرِّيِّ ٱلبارِعِ . قالَ لَهُ ٱلصَّديقُ : « أَنْتَ تَقْصِدُ شِرْلُوك هُولمْز ! »

وَنَظَرَ إلى جُون بِفُضولٍ ، لٰكِنَّ جُون لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَما إِنْ أَخَذَ جُون عُنوانَ ٱلمُخْبِرِ ، حَتَّى ٱنْطَلَقَ إلى لَنْدَن بِأَقْصى سُرْعةٍ مُمْكِنَةٍ .

– ٦ –

كانَ شِرْلُوك هُولمْز وَٱلدُّكتور واطْسُن يَقْضِيانِ أُمْسِيَّةً هادِئَةً مَعًا ، عِنْدَما دَقَّ جَرَسُ ٱلبابِ .

تَساءَلَ واطْسُن : « أَهٰذا جَرَسُ ٱلبابِ ؟ مَنْ ذا ٱلَّذي يَأْتي لِزِيارَتِكَ في مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ يا هُولمْز ؟ لَعَلَّهُ أَحَدُ أَصْدِقائِكَ ؟ »

قالَ هُولمْز : « لَيْسَ لي أَصْدِقاءُ غَيْرُكَ . »

« إذًا فَهُوَ شَخْصٌ يَطْلُبُ مَعُونَتَكَ . »

« إذا كانَ ٱلأَمْرُ كَذٰلِكَ ، وَفي مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ٱلمُتَأَخِّرِ مِنَ ٱللَّيْلِ ، فَلا بُدَّ أَنْ يَكونَ أَمْرًا خَطيرًا . »

مَدَّ هُولمْز ذِراعَهُ لِيُدِيرَ ٱلمِصْباحَ بَعيدًا عَنْهُ ، فَسَقَطَ ضَوْؤُهُ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلَّذي سَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ٱلقادِمُ ٱلجَديدُ . ثُمَّ قامَ وَفَتَحَ ٱلبابَ ، وَقالَ : « تَفَضَّلْ بِالدُّخولِ . » وَدَخَلَ جُون .

نَظَرَ هُولمْز وَ واطْسُن إلى آلضَّيْف . إنَّهُ شابٌّ وَسيمٌ ، في حَوالَى آلثَّانِيَةِ وَ آلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِهِ . وَجْهُهُ شاحِبٌ وَ عَيْناهُ مُتْعَبَتانِ ، كَعَيْنَيْ رَجُلٍ آمْتَلأَتْ نَفْسُهُ بِقَلَقٍ شَديدٍ .

نَظَرَ جُون حَوْلَهُ في آضْطِرابٍ قائِلًا : « أَرْجو آلمَعْذِرَةَ إذا كُنْتُ قَدْ جِئْتُ في ساعةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ آللَّيْلِ . »

« هَلْ أَتَيْتَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ ؟ »

« نَعَمْ ! مِنْ هُورْشام . لَقَدْ جِئْتُ أَطْلُبُ آلنَّصيحَةَ . »

« مِنَ آلسَّهْلِ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْها . »

« وَ آلمُساعَدَةَ . »

« آهٍ ، هٰذِهِ لَيْسَتْ سَهْلَةً دائِمًا . »

« لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ يا مِسْتَر هُولمْز ، وَ قَدْ أَرْسَلَني صَديقٌ إلَيْكَ . قالَ إنَّكَ لا تَفْشَلُ أَبَدًا . »

« لَقَدْ بالَغَ كَثيرًا . »

« .. وَ إنَّكَ لَمْ تُواجِهِ آلهَزيمةَ أَبَدًا . »

« لَقَدْ واجَهْتُ آلهَزيمَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مَعَ رِجالٍ ، وَ مَرَّةً مَعَ آمْرَأَةٍ . »

« لٰكِنْ هُناكَ مِئاتٌ مِن آلانْتِصاراتِ . »

« نَعَمْ .. ٱلواقِعُ أَنَّني أَنْجَحُ في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ . »

« إِذًا أَرْجو أَنْ تَنْجَحَ مَعي . »

قالَ هُولمْز : « أَرْجو أَنْ تَقْتَرِبَ بِمَقْعَدِكَ مِنَ ٱلمِدْفَأَةِ ، وَ أَنْ تُخْبِرَني بِكُلِّ شَيْءٍ . »

قالَ جُون : « إِنَّها قَضِيَّةٌ غَيْرُ عادِيَّةٍ . »

« أَنا لا تَأْتيني قَضِيَّةٌ عادِيَّةٌ ، فَٱلنَّاسُ لا يَجيئُونَ إِلَّا آخِرَ ٱلأَمْرِ ، بَلْ حَتَّى رُبَّما بَعْدَ أَنْ يَفْشَلَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ . وَ ٱلآنَ ، أَخْبِرْني بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَ بَعْدَئِذٍ سَأَسْأَلُكَ عَنِ ٱلأَشْياءِ ٱلَّتي تَبْدو لي عَلى جانِبٍ كَبيرٍ مِنَ ٱلأَهَمِّيَّةِ . »

– ٧ –

قَصَّ عَلَيْهِ جُون ٱلقِصَّةَ مُنْذُ ٱلبِدايَةِ . أَخْبَرَهُ عَنْ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ وَ خِطاباتِ ٱلأَحْرُفِ « ك . ك . ك . » ٱلغَريبةِ ، وَ عَنْ ظُروفِ مَوْتِ والِدِهِ وَ عَمِّهِ .. أَخْبَرَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ ٱلخِطابَ ٱلَّذي وَصَلَهُ في نَفْسِ ٱليَوْمِ ، وَ وَضَعَهُ مَعَ بُذورِ ٱلبُرْتُقالِ ٱلخَمْسِ عَلى ٱلمائِدَةِ أَمامَ هُولمْز .

قالَ : « سَتَرى أَنَّ خاتَمَ ٱلبَريدِ مِنْ لَنْدَن . وَ خاتَمُ ٱلبَريدِ ٱلَّذي جاءَ لِوالِدي مِنْ دَنْدي باسكُتْلَنْدا ، وَ ٱلَّذي جاءَ لِعَمِّي كانَ مِنْ بونْدشِيري بِالهِنْدِ . »

سَأَلَهُ هُولمْز : « ماذا فَعَلْتَ ؟ »

« لا شَيْءَ . »

«لاشَيْءَ !!»

قالَ جُون : «إنَّني في ٱلحَقيقَةِ أَشْعُرُ بالعَجْزِ ، فَهُناكَ شَرٌّ يَقْتَرِبُ مِنِّي وَلا أَجِدُ وَسيلةً لِدَفْعِهِ عَنِّي . لَقَدْ أَصابَتْني ٱللَّعْنَةُ .» ثُمَّ مالَ بِرَأْسِهِ ، وَوَضَعَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلنَّحيلَتَيْنِ ٱلبَيْضاوَيْنِ .

صاحَ شِرْلُوك هُولمْز : «لا تَفْعَلْ هٰذا .. يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ كَالرِّجالِ .. لا تَيْأَسْ .»

هَزَّ جُون رَأْسَهُ قائلًا : «أَنْتَ لا تَفْهَمُ ٱلأَمْرَ .»

جَلَسَ شِرْلُوك هُولمْز ساكِنًا لَحَظاتٍ ، ثُمَّ سَأَلَهُ : «لِماذا لَمْ تَأْتِني فَوْرًا ؟ كانَ يَجِبُ أَنْ تَحْضُرَ مُنْذُ ٱلبِدايةِ . وَمَعَ هٰذا .. هَلْ لَدَيْكَ ٱلآنَ أَيَّةُ أَوْراقٍ مِنْ أَوْراقِ عَمِّكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكونَ ذاتَ فائدَةٍ ؟»

قالَ جُون : «هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ .» ثُمَّ عَرَضَ عَلى هُولمْز وَرَقةً ٱحْتَرَقَتْ أَطْرافُها ، وَقالَ : «وَجَدْتُ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ في غُرْفَةِ عَمِّي . إنَّها بِخَطِّهِ هُوَ .»

حَرَّكَ هُولمْز ٱلمِصْباحَ ، وَمالَ هُوَ وَواطْسُن عَلى ٱلوَرَقَةِ . كانَتْ مُؤَرَّخةً في مارِس (آذارَ) عامَ ١٨٦٩ ، وَكُتِبَ تَحْتَ ٱلتَّاريخِ :

رابِعًا : أَتى دَوْرُ هَدْسون .

خامِسًا : أُرْسِلَتِ ٱلبُذورُ إلى بارَامُور وَسْوِيْن .

تاسِعًا : ٱلتَّخَلُّصُ مِنْ بارامُور .

عاشِرًا : تَمَّتْ زيارةُ سْوِيْن .

تَمَّ بِنَجاحٍ .

قالَ هُولمْز وَ هُوَ يُعيدُ ٱلوَرَقَةَ إلى جُون : « شُكْرًا لَكَ . لَيْسَ لَدَيْنا ٱلآنَ وَقْتٌ لِلْحَديثِ فيما أَخْبَرْتَني بِهِ . وَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعودَ فَوْرًا إلى مَنْزِلِكَ ، وَ تَتَصَرَّفَ . »

« ماذا أَفْعَلُ ؟ »

« هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَهُ في ٱلحالِ . يَجِبُ أَنْ تَضَعَ هٰذِهِ ٱلوَرَقَةَ ٱلَّتي عَرَضْتَها عَلَيْنا داخِلَ ٱلصُّنْدوقِ ٱلأَسْوَدِ ، وَ تَضَعَ مَعَها مُذَكِّرَةً تَقولُ فيها إنَّ عَمَّكَ قَدْ أَحْرَقَ كُلَّ ٱلأَوْراقِ ٱلأُخْرى . ثُمَّ ضَعِ ٱلصُّنْدوقَ عَلى ٱلمَقْعَدِ ٱلحَجَرِيِّ . هَلْ فَهِمْتَ ؟ »

« نَعَمْ .. نَعَمْ . »

« يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نُبْعِدَ ٱلخَطَرَ ٱلمُحيطَ بِكَ ، وَبَعْدَئِذٍ نَكْشِفُ ٱلغُموضَ ، وَ نَقْبِضُ عَلى ٱلجُناةِ . »

قالَ جُون : « أَشْكُرُكَ .. لَقَدْ مَنَحْتَني حَياةً وَ أَمَلًا جَديدَيْنِ . وَ سَأُنَفِّذُ بالتَّأْكيدِ ما نَصَحْتَني بِهِ . »

« لا تُضَيِّعْ أَيَّ وَقْتٍ . كُنْ حَريصًا . أَنا واثِقٌ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِخَطَرٍ حَقيقِيٍّ . كَيْفَ سَتَعودُ إلى مَنْزِلِكَ ؟ »

« بِالقِطارِ مِنْ مَحَطَّةِ وُوتِرْلُو . »

« اِحْرِصْ عَلى نَفْسِكَ جَيِّدًا . »

« إنَّني مُسَلَّحٌ . »

« أحْسَنْتَ .. سَأَبْدَأُ ٱلعَمَلَ غَدًا في قَضِيَّتِكَ . »

قالَ جُون : « سَأَراكَ إذًا في هُورْشام . »

« لا ! سِرُّ مَوْضوعِكَ يَكْمُنُ في لَنْدَن ، وَ سَأَبْحَثُ عَنْهُ هُنا . »

« إذًا سَأُعَرِّجُ عَلَيْكَ خِلالَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ، لِأُخْبِرَكَ عَمَّا يَجِدُّ بِالنِّسْبَةِ لِلصُّنْدُوقِ وَ ٱلأَوْراقِ . وَ ٱلآنَ إلى ٱللِّقاءِ . »

وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ جُون ، جَلَسَ شِرْلُوك هُولمْز صامِتًا بَعْضَ ٱلوَقْتِ ، وَقَدْ أَحْنَى رَأْسَهُ ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ إلى ٱلمِدْفأَةِ ، ثُمَّ أَشْعَلَ غَلْيونَهُ .

— ٨ —

قالَ هُولمْز أخيرًا : « أَعْتَقِدُ يا واطْسُن أَنَّ هٰذِهِ ٱلقَضِيَّةَ أَكْثَرُ تَعْقيدًا مِنْ أَيِّ قَضِيَّةٍ تَصَدَّيْنا لَها مِنْ قَبْلُ . »

قالَ واطْسُن : « نَعَمْ .. هٰذا صَحيحٌ . وَيَبْدو أَنَّ جُون تُحيطُ بِهِ أَخْطارٌ شَديدَةٌ ، وَمَعَ ذٰلِكَ لا نَسْتَطيعُ أَنْ نُحَدِّدَ هٰذِهِ ٱلأَخْطارَ : ما هٰذِهِ آلـ (ك. ك. ك.) وَلِماذا تُطارِدُ هٰذِهِ ٱلعائلةَ ٱلتَّعِسةَ ؟! »

قالَ هُولمْز : « يُمْكِنُنا أَوَّلًا أَنْ نَسْتَنْتِجَ أَنَّ إلْياس أُوبِنْشو كانَتْ لَدَيْهِ أَسْبابٌ قَوِيَّةٌ حَمَلَتْهُ عَلى مُغادَرةِ أمريكا . إنَّ ٱلرِّجالَ في مِثْلِ عُمْرِهِ لا يُغَيِّرونَ أُسلوبَهُمْ في ٱلحَياةِ ، ولا يَتْرُكونَ بِٱختيارِهِمْ جَوَّ فْلُورِيدا ٱلدَّافِئَ ، لِيَعيشوا في مَدينَةٍ إنجِليزِيَّةٍ . »

قالَ واطْسُن : « تَدُلُّ رَغْبَتُهُ في أنْ يَعيشَ حَياةً مُنْعَزِلَةً في إنجلْتِرا ، عَلى أنَّهُ كانَ يَخْشى شَخْصًا أوْ شَيْئًا ما . »

« هَلِ ٱسْتَرْعى ٱنتِباهَكَ ٱختِلافُ أخْتامِ ٱلبَريدِ عَلى تِلْكَ ٱلخِطاباتِ ٱلَّتي ذَكَرَها لَنا جُون ؟ »

أجابَ واطْسُن : « قالَ جُون إنَّ ٱلأَوَّلَ كانَ مِنْ بُونْدشِيري ، وَٱلثّانِيَ مِنْ دَنْدِي ، وَٱلثّالِثَ مِنْ لَنْدَن . »

« ماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ هٰذا ؟ »

« جَميعُها موانِئُ بَحْرِيَّةٌ . وَمِنَ ٱلمُحْتَمَلِ أنَّ كاتِبَ تِلْكَ ٱلخِطاباتِ كانَ عَلى ظَهْرِ سَفينةٍ . »

« رائِعٌ يا عَزيزي واطْسُن . هٰذِهِ بِدايَةٌ طَيِّبَةٌ ! إنَّ ٱلخِطابَ ٱلَّذي جاءَ مِنْ بُونْدشِيري تَسَلَّمَهُ إلْياس قَبْلَ قَتْلِهِ بِسَبْعَةِ أسابِيعَ ، وَٱلَّذي جاءَ مِنْ دَنْدِي وَصَلَ قَبْلَ قَتْلِ والِدِ جُون بِثَلاثَةِ أوْ أرْبَعَةِ أيّامٍ . فَماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ هٰذا ؟ »

« لا أسْتَطيعُ أنْ أسْتَنْتِجَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلنّاحيةِ . »

« أظُنُّ أنَّ تَفْسيرَ هٰذِهِ ٱلمَسْأَلةِ هُوَ أنَّ ٱلخِطاباتِ وَصَلَتْ بِسَفينةٍ تِجارِيَّةٍ ، لٰكِنَّ ٱلقاتِلَ وَصَلَ عَلى سَفينةٍ شِراعيةٍ يَسْتَغْرِقُ وُصولُها وَقْتًا أطْوَلَ . »

قالَ واطْسُن : « هٰذا مُمْكِنٌ . »

قالَ هُولمْز : « بَلْ هٰذا هُوَ ٱلأرْجَحُ ، لِذٰلِكَ تَسْتَطيعُ ٱلآنَ أنْ تُدْرِكَ ٱلخَطَرَ

ٱلَّذي يَتَعَرَّضُ لَهُ جُون أُوبِنْشو – لَقَدْ تَمَّ إرسالُ هٰذا ٱلخِطابِ إلَيْهِ مِنْ لَنْدَن ، وَمَعْنى هٰذا أَنَّ ٱلوَقْتَ لا يَحْتَمِلُ ٱلتَّأْخيرَ . »

صاحَ واطْسُن : « ما مَعْنى هٰذِهِ ٱلجَرائِمِ ٱلَّتي لا نِهايَةَ لَها ؟ »

« الأَوْراقُ ٱلَّتي كانَتْ في حَوْزَةِ إلْياس أُوبِنْشو لَها أَهَمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ عِنْدَ ٱلشَّخْصِ أَوِ ٱلأَشْخاصِ ٱلَّذينَ أَتَوْا عَلى ظَهْرِ ٱلسَّفينةِ ٱلشِّراعِيَّةِ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّ هُناكَ شَخْصَيْنِ أَوْ ثَلاثةً ، وَأَنَّهُمْ مُصَمِّمونَ عَلى ٱسْتِرْدادِ تِلْكَ ٱلأَوْراقِ . »

« قَدْ تُشيرُ إذًا ٱلأَحْرُفُ (ك. ك. ك.) إلى أَكْثَرَ مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ ؟ »

مالَ شِيرْلوك هُولمْز إلى ٱلأَمامِ قائلًا بِصَوْتٍ خَفيضٍ : « أَلَمْ تَسْمَعْ أَبَدًا عَنْ كُو كْلُوكْس كْلان ؟ »

« لا ، لَمْ أَسْمَعْ عَنْها . »

« لَقَدْ نَشَأَتْ في أَمريكا بَعْدَ ٱلحَرْبِ ٱلأَهْلِيَّةِ . كانَتْ عِصابةً مِنَ ٱلأَشْرارِ أَخَذَتْ تَقْتُلُ ٱلنَّاسَ وَتُهَدِّدُ أَيَّ شَخْصٍ لا يُنَفِّذُ ما تَطْلُبُهُ . كانَتْ عِصابةُ ٱلكُو كْلُوكْس كْلان تُرْسِلُ تَحْذيرًا لِمَنْ تُنْزِلُ بِهِ نِقْمَتَها ، فَلا يَعْرِفُ ٱلأَمانَ بَعْدَ ذٰلِكَ في أَيِّ مَكانٍ ، وَيُصْبِحُ مَوْتُهُ مُؤَكَّدًا . وَكانَتْ أَساليبُ عَمَلِهِمْ دَقيقةً جِدًّا ، حَتَّى ظَهَرَ كَأَنَّهُمْ يَنْجَحونَ دائمًا في أَعْمالِهِمِ ٱلفَظيعَةِ . وَلَمْ تَسْتَطِعِ ٱلحُكومةُ ٱلأَمْريكِيَّةُ أَنْ تَقْضِيَ عَلى هٰذِهِ ٱلعِصابةِ حَتَّى عامِ ١٨٦٩ . »

قالَ واطْسُن : « فَهِمْتُ .. إنَّ عامَ ١٨٦٩ هو ٱلعامُ ٱلسَّابِقُ لِعَوْدةِ إلْياس

أُوبِنْشو إلى إنجِلْتِرا ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكونَ هٰذِهِ ٱلأَوْراقُ ، ٱلَّتي أَحْضَرَها مَعَهُ في ٱلصُّنْدوقِ ٱلأَسْوَدِ ، أَوْراقًا هامَّةً تَتَعَلَّقُ بِهٰذِهِ ٱلعِصابَةِ ، وَتَكونُ مَبْعَثَ خَوْفٍ هائِلٍ لِأَفْرادِها . إِنَّ قِطْعَةَ ٱلوَرَقِ ٱلمُحْتَرِقَةَ ٱلَّتي رَأَيْنا فيها ٱلتَّواريخَ وَٱلأَسْماءَ ٱلمُتَعَلِّقَةَ بِالأَوْقاتِ وَٱلأَماكِنِ ٱلَّتي أُرْسِلَتْ بُذورُ ٱلبُرْتُقالِ إِلَيْها تُشَكِّلُ خَطَرًا داهِمًا عَلى ٱلشَّخْصِ ٱلَّذي يَحْتَفِظُ بِها . »

قالَ هُولمْز : « لَنْ نَسْتَطيعَ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ٱللَّيْلَةَ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ فُرْصَةَ جُون ٱلوَحيدَةَ لِلنَّجاةِ هيَ أَنْ يَعْمَلَ ما طَلَبْتُهُ مِنْهُ . »



كانَتِ ٱلشَّمْسُ ساطِعةً في صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالي ، وَكانَ شِرْلُوك هُولمْز يَتناوَلُ إفْطارَهُ عِنْدَما ٱنْضَمَّ إلَيْهِ واطْسُن .

بَيْنَما كانَ واطْسُن يَنْتَظِرُ إفْطارَهُ ، ٱلتَقَطَ ٱلصَّحيفةَ ٱلمَطْوِيَّةَ مِنْ فَوْقِ ٱلمائدَةِ . وَما إنْ فَتَحَها حَتَّى صاحَ : « هُولمْز ! لَقَدْ تَأَخَّرْنا كَثيرًا ! »

قالَ هُولمْز : « هٰذا ما كُنْتُ أَخْشاهُ ! كَيْفَ حَدَثَ هٰذا ؟ »

كانَ يَتَحَدَّثُ بِهُدوءٍ ، لٰكِنَّ واطْسُن ٱستَطاعَ أَنْ يُدْرِكَ مَدى أَلَمِهِ . نَظَرَ واطْسُن في ٱلصَّحيفَةِ ، وَقَرَأَ هٰذا ٱلخَبَرَ : « سَمِعَ أَحَدُ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ أَثْناءَ قِيامِهِ بِعَمَلِهِ بِالقُرْبِ مِنْ جِسْرِ وُوتَرْلُو صَرْخَةَ ٱستِغاثَةٍ ، ثُمَّ صَوْتَ سُقوطِ شَخْصٍ في ٱلنَّهْرِ . وَأَطْلَقَ الشُّرْطِيُّ صَفَّارَتَهُ ، وَتَجَمَّعَ النَّاسُ لِيُقَدِّموا مَعونَتَهُمْ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطيعوا أَنْ يَفْعَلوا شَيْئًا . وَتَمَّ إخراجُ ٱلجُثَّةِ مِنَ ٱلنَّهْرِ ، وَوَجَدوا في جَيْبِ ٱلغَريقِ خِطابًا ٱتَّضَحَ مِنْهُ أَنَّ ٱسمَهُ أُوبِنْشو . »

نَظَرَ واطْسُن إلى هُولمْز ، وَسادَ ٱلصَّمْتُ لَحْظَةً قالَ هُولمْز بَعْدَها : « كَمْ يُؤْلِمُني هٰذا يا واطْسُن ! يُؤْلِمُني حَقًّا ! لَقَدْ جاءَ هٰذا ٱلشَّابُّ يَطْلُبُ مُساعَدَتي فَأَرْسَلْتُهُ إلى حَتْفِهِ . إنَّني بإذْنِ ٱللهِ سَأَقْضي عَلى هٰؤُلاءِ ٱلقَتَلَةِ ؛ سَأَقْضي عَلَيْهِمْ حَتَّى لَوِ ٱقتَضى ٱلأَمْرُ قَتْلَهُمْ بِيَدَيَّ هاتَيْنِ . »

وَقَفَزَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَأَخَذَ يَتَمَشَّى في ٱلغُرْفَةِ ذَهابًا وَإيابًا ، وَقَدِ ٱحمَرَّ وَجْهُهُ . قالَ : « لا بُدَّ أَنَّهُمْ جَماعةٌ مِنَ ٱلشَّياطينِ ! حَسَنًا يا واطْسُن ! سَنَرى مَنِ ٱلَّذي سَيَنْتَصِرُ أَخيرًا . سَأَخْرُجُ ٱلآنَ . »

لَمْ يَرَ واطْسُن هُولمْز مَرَّةً أُخرى إلَّا في آلمَساءِ .

عِنْدَما دَخَلَ هُولمْز ، تَناوَلَ بُرْتُقالةً ، وَقَطَّعَها عِدَّةَ قِطَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ بُذورَها ، وَوَضَعَها فَوْقَ آلمائدةِ ، ثُمَّ وَضَعَ خَمْسًا مِنْ تِلْكَ آلبُذورِ في مَظْروفٍ وَأَغْلَقَهُ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِ آلعُنوانَ آلتَّالي :

الرُّبَّانُ جِيمْس كالْهون

السَّفينَةُ آلشِّراعِيَّةُ « النَّجْمةُ آلوَحيدةُ »

سافَـانَّاه

جُورْجِيا

أمريكا

وَقالَ : « سَيَبْقى هٰذا آلخِطابُ في آنتِظارِهِ حَتَّى يَصِلَ ، وَقَدْ يَصِلُهُ في لَيْلَةٍ يَطيرُ فيها آلنَّوْمُ مِنْ عَيْنَيْهِ . »

سَأَلَ واطْسُن : « مَنْ هُوَ هٰذا آلرُّبَّانُ ؟ »

« إنَّهُ زَعيمُ هٰؤلاءِ آلشَّياطينِ ، وَسَأَقْضي عَلى بَقيَّةِ أَفْرادِ آلعِصابةِ أَيْضًا ، لٰكِنَّهُ سَيَكونُ أَوَّلَهُمْ . لَقَدْ أَمْضَيْتُ آليَوْمَ كُلَّهُ في ميناءِ لَنْدَن ، أَفْحَصُ سِجِلَّاتِ آلسُّفُنِ آلَّتي كانَتْ في بُونْد شِيري في آلتَّاريخِ آلَّذي تَمَّ فيه إرْسالُ أَوَّلِ خِطابٍ ، وَقَدْ عَثَرْتُ عَلى آلنَّجْمةِ آلوَحيـدَةِ آلَّـتي جاءَتْ مِنْ أمريكـا . ثُمَّ فَحَصْتُ

سِجلّاتِ ٱلسُّفُنِ ٱلَّتي كانَتْ في دَنْدِي ، فَوَجَدْتُ أَيْضًا (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدةَ) في ٱلتّاريخِ ٱلَّذي تَوَقَّعْتُهُ . وَأَخيرًا وَجَدْتُ أَنَّ (ٱلنَّجْمَةَ ٱلوَحيدَةَ) قَدْ وَصَلَتْ ميناءَ لَنْدَن ٱلأُسْبوعَ ٱلماضِيَ ، لٰكِنَّها أَبْحَرَتْ إلى سافَانّاه هٰذا ٱلصَّباحَ . »

« وَماذا تَسْتَطيعُ أَنْ تَفْعَلَ إذًا ؟ »

« إنَّني أُراقِبُهُمْ ، فهُناكَ ثَلاثَةُ رِجالٍ أَمْريكِيِّينَ يُسافِرونَ عَلى ظَهْرِ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ . وَقَدْ عَرَفْتُ أَيْضًا أَنَّهُمْ ثَلاثَتَهُمْ لَمْ يَكونوا عَلى ظَهْرِها ٱللَّيْلَةَ ٱلماضيةَ . إنَّهُمُ ٱلقَتَلَةُ .

« عِنْدَما يَصِلونَ إلى ميناءِ سافَانّاه ، سَتَكونُ سَفينَةُ ٱلبَريدِ قَدْ حَمَلَتْ هٰذا ٱلخِطابَ إلى هُناكَ ، لِأَنَّها أَسْرَعُ مِنَ ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدةِ ، ٱلشِّراعِيَّةِ . وَسَأُرْسِلُ رِسالةً إلى رِجالِ ٱلشُّرْطةِ في سافَانّاه بِأَنَّ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالَ ٱلثَّلاثَةَ مَطْلوبونَ هُنا لِٱتِّهامِهِمْ في جَرائِمِ قَتْلٍ . »

مِسْكينٌ شيرْلُوك هُولمْز ! لَقَدِ ٱنْتَهَتْ كُلُّ خُطَطِهِ إلى لا شَيْءَ ، وَلَمْ يَتَسَلَّمْ قَتَلَةُ جون أُوبِنْشو بُذورَ ٱلبُرْتُقالِ ٱلَّتي أَرْسَلَها في ٱلخِطابِ .

لَقَدِ ٱنتَظَرَ هوَ وَواطْسُن وَقْتًا طَويلًا لِيَسْمَعا أَخبارَ ، ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، في سافَانّاه ، لٰكِنْ لَمْ يَصِلْ إلَيْهِما أَيُّ خَبَرٍ .

أَخيرًا سَمِعا أَنَّهُ في مَكانٍ ما وَسَطَ ٱلمُحيطِ ٱلواسِعِ ، تَمَّ ٱلعُثورُ عَلى قِطْعَةٍ طافِيَةٍ مِنَ ٱلخَشَبِ ، مَكْتوبٌ عَلَيْها ٱلحَرْفانِ .. ، ن. و. ، وَهيَ كُلُّ ما أَمْكَنَ أَنْ يَعْرِفَهُ ٱلنّاسُ عَنْ مَصيرِ تِلْكَ ٱلسَّفينَةِ ، ٱلنَّجْمَةِ ٱلوَحيدَةِ ، وَعَنْ مَصيرِ ٱلرِّجالِ ٱلَّذينَ قَتَلوا ثَلاثَةً مِنْ عائلَةِ أُوبِنْشو .

التَّـــاجُ ٱلماسِيُّ

– ١ –

كانَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر ، مُديرُ بَنْكِ هُولْدَر وَسْتيڤِنْسَن ، يَجْلِسُ في غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ ، عِنْدَما دَخَلَ أَحَدُ مُوَظَّفي ٱلبَنْكِ لِيُخْبِرَهُ أَنَّ زائِرًا يُريدُ مُقابَلَتَهُ .

دَهِشَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر عِنْدَما سَمِعَ ٱسْمَ ٱلزَّائِرِ . كانَ ٱسْمَ رَجُلٍ مَشْهورٍ جِدًّا ، يَعْرِفُهُ ٱلعالَمُ كُلُّهُ ؛ فَهوَ مِنْ عُظَماءِ إِنْجِلْتِرا وَنُبَلائِها .



قالَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : « أَدْخِلْهُ فَوْرًا . »

كانَ يَبْدو عَلى ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي دَخَلَ ٱلغُرْفَةَ أَنَّهُ قَلِقٌ وَفي عَجَلةٍ مِنْ أَمْرِهِ .

قالَ : « يا سَيِّدُ هُولْدَر ، قيلَ لي إنَّ ٱلبَنْكَ ٱعْتادَ أَنْ يُقْرِضَ نُقودًا . »

قالَ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر : « البَنْكُ عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِأَنْ يَفْعَلَ هٰذا دائِمًا مَعَ ٱلنُّبَلاءِ أَصْحابِ ٱلمَقامِ ٱلرَّفيعِ . »

« مِنَ ٱلضَّروريِّ جِدًّا أَنْ أَحْصُلَ ٱلآنَ عَلى خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ . »

« مَتى تَرُدُّ إِلَيْنا هٰذا ٱلمَبْلَغَ يا سَيِّدي ؟ »

« قَدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ إِعادةِ ٱلنُّقودِ إِلَيْكَ ٱلأُسْبوعَ ٱلقادِمَ ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى ٱلخَمْسينَ أَلْفًا ٱليَوْمَ . »

قالَ هُولْدَر : « هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَتْرُكَ شَيْئًا ذا قيمةٍ ، يَحْتَفِظُ بِهِ ٱلبَنْكُ ، حَتّى تَرُدَّ ٱلنُّقودَ ؟ »

« نَعَمْ . لَقَدْ تَوَقَّعْتُ أَنْ يُطْلَبَ مِنّي هٰذا . لَعَلَّكَ قَدْ سَمِعْتَ عَنِ ٱلتّاجِ ٱلماسِيِّ ؟ »

« إِنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَثْمَنِ ٱلمُمْتَلَكاتِ ٱلعامَّةِ في هٰذا ٱلبَلَدِ . طَبْعًا سَمِعْتُ عَنْهُ ! »

فَتَحَ ٱلزّائِرُ ٱلحَقيبةَ ٱلَّتي كانَ يَحْمِلُها . كانَتْ بِداخِلِها أَجْمَلُ قِطْعَةِ مُجَوْهَراتٍ .

«تُوجَدُ في هٰذا ٱلتَّاجِ تِسْعٌ وَثَلاثونَ ماسةً ضَخْمَةً . أَمَّا ٱلذَّهَبُ ٱلَّذي ثُبِّتَ فيهِ ٱلماسُ ، فَهُوَ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ يُقَدَّرَ بِثَمَنٍ . إِنَّ هٰذا ٱلتَّاجَ يُساوي ضِعْفَ ٱلمَبْلَغِ ٱلَّذي أَطْلُبُ ٱقْتِراضَهُ ، وَسَأَتْرُكُهُ لَكُمْ .»

تَناوَلَ هُولْدَر ٱلتَّاجَ ، ثُمَّ نَظَرَ في شَكٍّ إِلى ٱلزَّائِرِ .

قالَ ٱلزَّائِرُ : «هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُ عَديمُ ٱلقيمَةِ ؟»

«إِطْلاقًا ! أَنا أَشُكُّ فَقَطْ ..»

«لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّ ٱلتَّاجَ لا يَخُصُّني ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا أُقَدِّمَهُ إِلَيْكَ . حَسَنًا ، مِنَ ٱلمُؤَكَّدِ أَنَّني ما كُنْتُ أَفْعَلُ هٰذا لَوْ لَمْ أَكُنْ عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّني أَسْتَطيعُ ٱسْتِرْدادَهُ مِنْكَ خِلالَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، عِنْدَما أَرُدُّ إِلَيْكَ ٱلنُّقودَ . كُلُّ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ أَنْ يَظَلَّ ٱلأَمْرُ سِرًّا بَيْنَنا ، وَأَنْ تُحافِظَ جَيِّدًا عَلى هٰذا ٱلتَّاجِ . سَتَحْدُثُ مَتاعِبُ كَبيرَةٌ إِذا أَصابَ ٱلتَّاجَ أَيُّ تَلَفٍ .»

ٱسْتَدْعى ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر صَرَّافَ ٱلبَنْكِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْرِفَ خَمْسينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ نَقْدًا لِلزَّائِرِ .

عِنْدَما ٱنْصَرَفَ ٱلزَّائِرُ ، نَظَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر إِلى ٱلتَّاجِ ، وَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُوافِقْ عَلى ٱلاحْتِفاظِ بِهِ ، لٰكِنْ مَضى ٱلوَقْتُ ٱلَّذي يَسْتَطيعُ فيهِ أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَهُ ؛ لِذٰلِكَ وَضَعَهُ في حَقيبَةٍ ، وَأَخْفاهُ في مَكانٍ أَمينٍ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ ٱليَوْمِيِّ .

فِي نِهايَةِ ٱلْيَوْمِ ، وَجَدَ أَلِكْسَنْدَر أَنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَلَّا يَتْرُكَ ٱلتَّاجَ فِي ٱلبَنْكِ ، وَأَنْ يَحْتَفِظَ بِٱلحَقِيبَةِ مَعَهُ ، حَتَّى تَكُونَ فِي مُتَناوَلِ يَدِهِ فِي أَيِّ مَكانٍ يَكُونُ فِيهِ ، إِلى أَنْ يَعُودَ صاحِبُهُ بِٱلمَبْلَغِ . لِذٰلِكَ عادَ إِلى مَنْزِلِهِ فِي سْتْرِيتام حامِلًا ٱلتَّاجَ ٱلماسِيَّ مَعَهُ فِي ٱلحَقِيبَةِ .

عِنْدَما وَصَلَ إِلى مَنْزِلِهِ ، أَخَذَ ٱلحَقِيبَةَ مَعَهُ إِلى غُرْفَتِهِ ٱلخاصَّةِ فِي ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ ، وَحَفِظَها فِي مَكانٍ أَمِينٍ .

كانَ يَعِيشُ مَعَ ٱلسَّيِّدِ هُولْدَر فِي سْتْرِيتام ٱبْنُهُ آرْثَر ، وَفَتاةٌ فِي مُقْتَبَلِ ٱلعُمْرِ آسْمُها مارِي ، هِيَ ٱبْنَةُ أَخِيهِ ٱلمُتَوَفَّى . وَكانَ هُناكَ خادِمانِ يَبِيتانِ فِي مَنْزِلَيْهِما ، وَثَلاثُ خادِماتٍ يَعْمَلْنَ بِٱلمَنْزِلِ مُنْذُ سَنَواتٍ عَدِيدَةٍ . إِلى جانِبِ خادِمَةٍ جَدِيدَةٍ آسْمُها لُوسِي پار ، ٱلْتَحَقَتْ بِٱلعَمَلِ مُنْذُ عِدَّةِ أَشْهُرٍ . وَقَدْ أَحْضَرَتْ مَعَها عِنْدَ مَجِيئِها خِطاباتِ تَوْصِيَةٍ تُبَيِّنُ أَنَّها ذاتُ شَخْصِيَّةٍ مُمْتازَةٍ ، وَأَنَّها تُؤَدِّي عَمَلَها جَيِّدًا . كانَتْ فَتاةً رائِعَةَ ٱلجَمالِ ، وَقَدْ حَضَرَ أَكْثَرُ مِنْ رَجُلٍ لِمُقابَلَتِها ، لٰكِنْ كانَ يَبْدُو أَنَّها فَتاةٌ مُمْتازَةٌ مِن كافَّةِ ٱلنَّواحِي .

كانَ ٱلابْنُ آرْثَر ٱلوَحِيدَ مِنْ أَهْلِ ٱلمَنْزِلِ ٱلَّذِي يُسَبِّبُ ٱلمَتاعِبَ لِلسَّيِّدِ هُولْدَر .

كانَ هُولْدَر يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : « يَقُولُ لِيَ ٱلنَّاسُ إِنَّنِي أَفْسَدْتُهُ بِتَدْلِيلِي ؛ وَلَعَلَّنِي فَعَلْتُ هٰذا ، فَعِنْدَما ماتَتْ أُمُّهُ ، آسْتَأْثَرَ وَحْدَهُ بِكُلِّ حُبِّي . »

لَقَدْ رَفَضَ آرْثَر أَنْ يَعْمَلَ في بَنْكِ أَبيهِ . لَمْ يَكُنْ يَتَحَمَّلُ ٱلمَسْؤُولِيَّةَ ، وَيَعيشُ مَعَ أَصْدِقائِهِ ٱلأَثْرِياءِ حَياةَ ٱللَّهْوِ وَٱلْمُتْعَةِ ، لا يَشْغَلُهُ سِوى مُشاهَدَةِ سِباقِ ٱلخَيْلِ . كانَ أَصْدِقاؤُهُ أَغْنِياءَ ، لِذا ٱضْطُرَّ إِلى أَنْ يُنْفِقَ مَعَهُمْ مِنَ ٱلنُّقودِ أَكْثَرَ مِمَّا يُعْطيهِ والِدُهُ ، كانَ يَسْتَدينُ دائِمًا . وَكانَ صَديقُهُ ٱلمُفَضَّلُ ، سير جُورْج بيرنْويل ، كَثيرَ ٱلتَّرَدُّدِ عَلَيْهِ في ٱلمَنْزِلِ في سْتْريتام . كانَ هٰذا ٱلصَّديقُ يَبْدو شَخْصًا لَطيفًا ، وَسيمًا ، حَسَنَ ٱلخُلُقِ ، لٰكِنَّ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر لَمْ يَكُنْ يَرْتاحُ إِلَيْهِ .

كانَتْ ماري ، ٱبْنَةُ أَخيهِ ، هِيَ ٱلإِنْسانَةَ ٱلوَحيدَةَ ٱلَّتي يَرْتاحُ إِلَيْها في ٱلمَنْزِلِ . كانَتْ جَميلَةً ، رَقيقَةً هادِئَةً ، تَفيضُ عَطْفًا وَحَنانًا . يَقولُ عَنْها دائِمًا : « لَسْتُ أَدْري ماذا كُنْتُ أَفْعَلُ بِدُونِها . » وَكانَ ٱبْنُهُ آرْثَر يُحِبُّها ، وَيَتَمَنَّى ٱلزَّواجَ بِها ؛ لٰكِنَّها رَفَضَتْهُ ، وَكَمْ كانَ والِدُهُ يَرْغَبُ أَيْضًا في زَواجِها بِٱبْنِهِ فَرُبَّما تَتَغَيَّرُ شَخْصِيَّةُ ٱبْنِهِ بَعْدَ أَنْ يَتَزَوَّجَها .

— ٣ —

في ذٰلِكَ ٱلمَساءِ ، جَلَسَتِ ٱلأُسْرَةُ ٱلصَّغيرَةُ في غُرْفَةِ ٱلاسْتِقْبالِ تَتَناوَلُ ٱلقَهْوَةَ ٱلَّتي أَعَدَّتْها وَقَدَّمَتْها لُوسي پار . وَعِنْدَما غادَرَتِ ٱلخادِمَةُ ٱلغُرْفَةَ ، قالَ هُولْدَر : « يا لَهُ مِنْ يَوْمٍ ! لَقَدْ عانَيْتُ فيهِ مِنْ قَلَقٍ شَديدٍ ، وَأَحْضَرْتُ مَعي إِلى ٱلمَنْزِلِ واحِدًا مِنْ أَثْمَنِ ٱلتّيجانِ في ٱلعالَمِ . يَجِبُ أَنْ أَحْرُسَهُ بِعِنايَةٍ حَتَّى ٱلأُسْبوعِ ٱلقادِمِ . إِنَّهُ أَثْمَنُ مِنْ أَنْ أَتْرُكَهُ في ٱلبَنْكِ . »

سَأَلَهُ آرْثَر : « أَيْنَ وَضَعْتَهُ ؟ »

« لَقَدْ أَغْلَقْتُ عَلَيْهِ في غُرْفَتي ٱلخاصَّةِ بِٱلطَّابَقِ ٱلعُلْوِيِّ . »

قالَ آرْثَر : « حَسَنًا ! أَرْجو أَلّا يَسْطَوَ عَلَيْنا ٱللُّصوصُ ٱللَّيْلَةَ . »

قالَتْ ماري : « هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَراهُ ؟ »

أَجابَ هُولْدَر : « لا ! مِنَ ٱلأَفْضَلِ عَدَمُ رُؤْيَتِهِ . أُريدُ أَنْ أَتْرُكَهُ حَيْثُ هوَ . »

في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ، تَبِعَ آرْثَر أَباهُ حِينَ تَوَجَّهَ إلى غُرْفَتِهِ ، وَقالَ لَهُ : « أَبي ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُعْطِيَني مِئَتَيْ جُنَيْهٍ ؟ »

أَجابَهُ والِدُهُ غاضِبًا : « لا ، لا أَسْتَطيعُ ! لَقَدْ تَساهَلْتُ مَعَكَ إلى أَبْعَدِ ٱلحُدودِ في ٱلمَسائِلِ ٱلمالِيَّةِ . »

قالَ آرْثَر : « لَقَدْ كُنْتَ مُتَساهِلًا مَعي حَقًّا يا أَبي ، لٰكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى هٰذا ٱلمَبْلَغِ ، وَإِلّا فَلَنْ أَسْتَطيعَ لِقاءَ أَصْدِقائي بَعْدَ ٱلآنَ . »

« أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ مَسْأَلَةٌ غَيْرُ مُهِمَّةٍ . »

قالَ آرْثَر : « لٰكِنَّكَ لا تُريدُ أَنْ أَجْلُبَ ٱلعارَ لاسْمِكَ . يَجِبُ أَنْ أَحْصُلَ عَلى ٱلنُّقودِ ، وَإِذا رَفَضْتَ أَنْ تُعْطِيَني إِيّاها ، سَأُحاوِلُ ٱلحُصولَ عَلَيْها مِنْ مَكانٍ آخَرَ . »

صاحَ هُولْدَر : « هٰذِهِ هيَ ٱلمَرَّةُ ٱلثَّالِثَةُ ٱلَّتي تَطْلُبُ فيها نُقودًا في ٱلفَتْرةِ ٱلأَخيرةِ ، وَلَنْ أُعْطِيَكَ شَيْئًا . »

غادَرَ آرْثَر ٱلغُرْفَةَ دونَ أَنْ يَنْطِقَ بِكَلِمةٍ واحِدةٍ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ قامَ هُولْدَر لِيَمُرَّ بِأَرْجاءِ ٱلمَنْزِلِ ، وَيَتَأَكَّدَ مِنْ إغْلاقِ كُلِّ ٱلأَبْوابِ وَٱلنَّوافِذِ .

عِنْدَما كانَ يَهْبِطُ ٱلسُّلَّمَ ، رَأى ماري عِنْدَ نافِذَةٍ جانِبِيَّةٍ في ٱلبَهْوِ . وَلَمَّا رَأَتْهُ أَغْلَقَتْها بِسُرْعةٍ . وَلاحَظَ هُولْدَر أَنَّها تَبْدو قَلِقَةً بَعْضَ ٱلشَّيْءِ .

قالَتْ : « أَخْبِرْني يا عَمِّي ، هَلْ سَمَحْتَ لِلْخادِمَةِ لُوسي پار بِٱلخُروجِ ٱللَّيْلَةَ ؟ »

« كَلَّا ، لَمْ أَسْمَحْ لَها . »

« لَقَدْ عادَتِ ٱلآنَ . »

« حَسَنًا ، سَأَتَحَدَّثُ إِلَيْها في ٱلصَّباحِ . أَواثِقَةٌ أَنْتِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُغْلَقٌ ؟ »

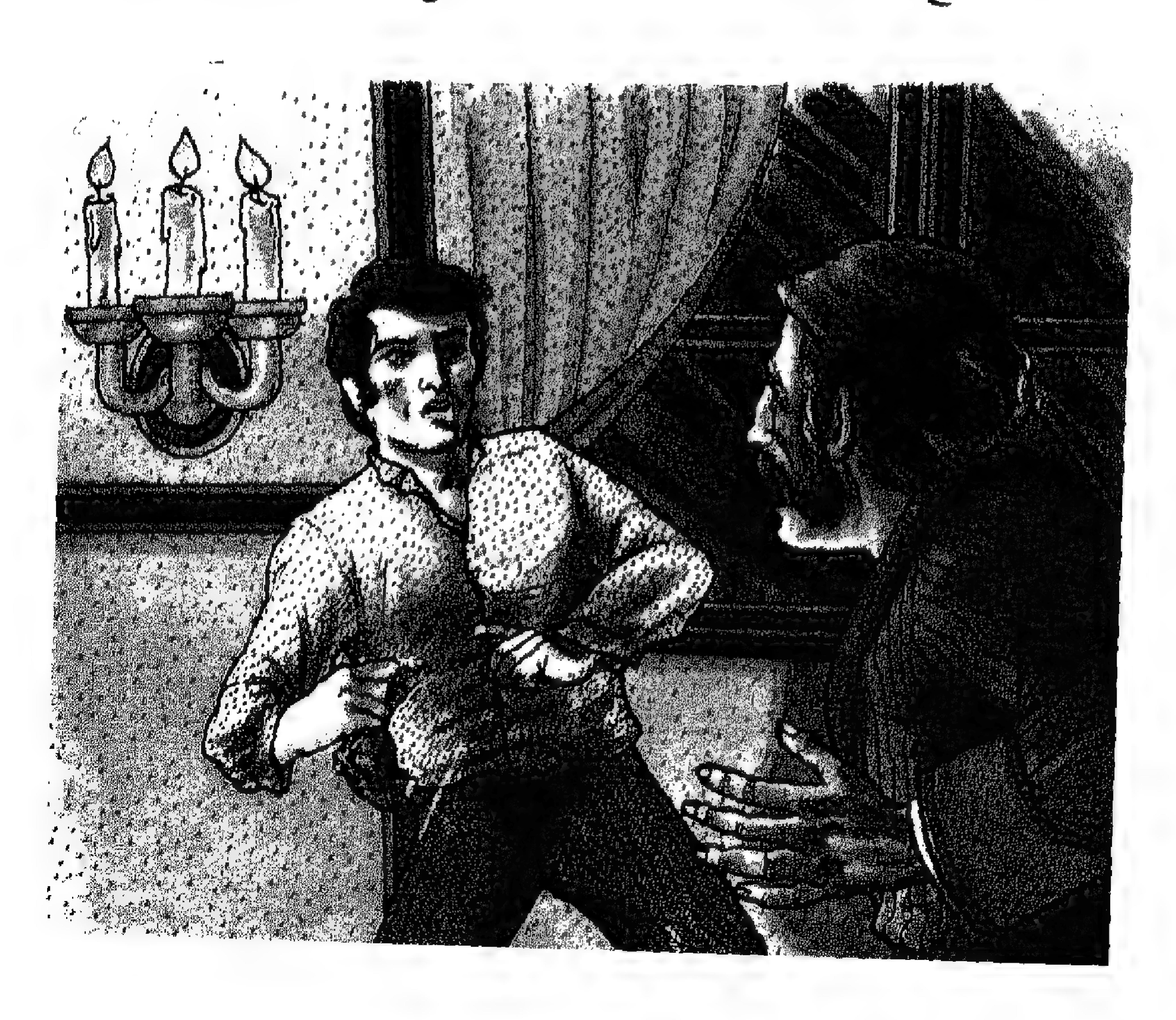
« واثِقَةٌ تَمامًا يا عَمِّي . »

« إذًا ! تُصْبِحينَ عَلى خَيْرٍ . » وَقَبَّلَها ، وَذَهَبَ إِلى غُرْفَةِ نَوْمِهِ ، وَسُرْعانَ ما ٱسْتَغْرَقَ في ٱلنَّوْمِ .

اِسْتَيْقَظَ هُولْدَر فَجْأَةً في حَوالَى ٱلسَّاعةِ ٱلثَّانِيةِ صَباحًا ، عَلى صَوْتِ حَرَكةٍ في ٱلمَنْزِلِ ، فَأَنْصَتَ فَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا . وَظَلَّ مُنْصِتًا ، فَسَمِعَ صَوْتًا خافِتًا ، وَوَقْعَ خُطُواتٍ في غُرْفَتِهِ ٱلخاصَّةِ فَنَهَضَ بِهُدوءٍ ، وَذَهَبَ إلى هُناكَ .

صاحَ هُولْدَر : «آرْثَر ! أَيُّها ٱللِّصُّ ! كَيْفَ تَجْرُؤُ على أَخْذِ ٱلتَّاجِ ؟»

كانَ آرْثَر يَقِفُ بِجِوارِ مِصْباحٍ وَهو لا يَرْتَدي غَيْرَ قَميصٍ وَسِرْوالٍ ، وَقَدْ أَمْسَكَ ٱلتَّاجَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَأَنَّهُ يُحاوِلُ ثَنْيَهُ . عِنْدَما سَمِعَ كَلِماتِ والِدِهِ ، سَقَطَ



ٱلتَّاجَ مِنْ يَدِهِ عَلى ٱلأَرْضِ . وَشَحَبَ لَوْنُهُ ؛ فَأَسْرَعَ والِدُهُ وَٱلْتَقَطَ ٱلتَّاجَ وَفَحَصَهُ ، فَوَجَدَ أَنَّ أَحَدَ أَطْرافِهِ ٱلذَّهَبِيَّةِ قَدِ ٱخْتَفَى مَعَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثِ ٱلمُثَبَّتَةِ فيهِ .

صاحَ هُولْدَر في ثَوْرَةٍ عارِمَةٍ : «أَيُّها ٱلوَلَدُ ٱلشِّرِّيرُ ، لَقَدْ حَطَّمْتَني ! لَقَدْ أَلْحَقْتَ بِيَ ٱلعارَ إلى ٱلأَبَدِ . أَيْنَ ٱلماساتُ ٱلَّتي سَرَقْتَها ؟»

صاحَ آرْثَر في دَهْشَةٍ : «سَرَقْتُها ؟!»

قالَ هُولْدَر بِصَوْتٍ مُفْعَمٍ بِٱلحُزْنِ : «نَعَمْ ، أَيُّها ٱللِّصُّ ! ابْني يَصْبِحُ لِصًّا ! يا لَلْعارِ !»

هَمَسَ آرْثَر : «لٰكِنْ لَيْسَ هُناكَ شَيْءٌ ناقِصٌ ! لا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ شَيْءٌ ناقِصٌ !»

«إِنَّ ٱلتَّاجَ يَنْقُصُ ثَلاثَ ماساتٍ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَيْنَ تُوجَدُ . هَلْ يَجِبُ أَنْ أُسَمِّيَكَ كاذِبًا كَما سَمَّيْتُكَ لِصًّا ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ بِنَفْسي تُحاوِلُ ٱنْتِزاعَ ماسَةٍ أُخْرى .»

قالَ آرْثَر : «لَقَدْ وَصَفْتَني يا أَبي بِصِفاتٍ سَيِّئَةٍ ، وَمَعَ هٰذا لَنْ أَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ . سَأُغادِرُ ٱلمَنْزِلَ في ٱلصَّباحِ وَلَنْ تَراني مَرَّةً أُخْرى ؟»

صاحَ هُولْدَر في جُنُونٍ : «سَتُغادِرُهُ في قَبْضَةِ ٱلشُّرْطَةِ .»

«لَنْ أُجيبَ بِشَيْءٍ . وَإِذا ٱسْتَدْعَيْتَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ ، فَدَعْهُمْ يَبْحَثونَ ٱلأَمْرَ بِأَنْفُسِهِمْ .»

أَثْناءَ هٰذا ٱلحَديثِ ، كانَ كُلُّ مَنْ بِٱلمَنْزِلِ قَدِ ٱسْتَيْقَظَ بِسَبَبِ ٱلضَّوْضاءِ وَٱلأَصْواتِ ٱلغاضِبِةِ .

كانَتْ ماري أَوَّلَ مَنِ ٱندَفَعَ إِلى ٱلغُرْفَةِ ، وَعِنْدَما رَأَتِ ٱلتّاجَ وَوَجْهَ آرْثَر ، فَقَدَتِ ٱلوَعْيَ ، وَسَقَطَتْ عَلى ٱلأَرْضِ .

أَرْسَلوا في طَلَبِ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ فَوْرًا . وَعِنْدَما وَصَلوا قالَ آرْثَر لِوالِدِهِ : « هَلْ تُريدُ أَنْ تَطْلُبَ مِنْ رِجالِ ٱلشُّرْطَةِ أَنْ يَأْخُذوني مَعَهُمْ ؟ »

« هٰذِهِ مَسْأَلَةٌ عامَّةٌ ؛ فَٱلتّاجُ مِلْكُ ٱلدَّوْلَةِ . لا يُمْكِنُ أَنْ نَحْتَفِظَ بِٱلأَمْرِ وَكَأَنَّهُ مَسْأَلَةٌ عائلِيَّةٌ . يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ ٱلقانونُ مَجْراهُ . »

قالَ آرْثَر : « إِسْمَحْ لي عَلى ٱلأَقَلِّ أَنْ أُغادِرَ ٱلمَنْزِلَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ ، هٰذا سَيُساعِدُنا كُلَّنا . أَرْجوكَ أَنْ تُصَدِّقَني . »

قالَ هُولْدَر : « آهٍ ، حَتّى تَسْتَطيعَ أَنْ تَهْرُبَ أَوْ تُخْفيَ ما سَرَقْتَهُ . أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ ، فَلا يَزالُ في ٱستِطاعَتي أَنْ أُنْقِذَكَ مِنَ ٱلعارِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ وَٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْكَ . أَنْتَ مُذْنِبٌ ! أَخْبِرْني أَيْنَ ٱلماساتُ حَتّى أَعْفُوَ عَنْكَ ؟ »

« إِحتَفِظْ بِعَفْوِكَ لِمَنْ يَطْلُبُهُ . »

وَوَجَدَ هُولْدَر أَنَّهُ مِنَ ٱلعَسيرِ عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّ ٱبنَهُ هُوَ ٱلَّذي يُخاطِبُهُ عَلى هٰذا ٱلنَّحْوِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمامَهُ إِلّا أَنْ يَتْرُكَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ يَقْبِضونَ عَلى آرْثَر .

فَتَّشَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ في ٱلحالِ كُلَّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكانِ ٱلمَنْزِلِ ، كَما فَتَّشوا كُلَّ فَرْدٍ فيهِ ، لٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْثُروا عَلى شَيْءٍ .

قالَ ٱلضَّابِطُ ٱلمَسْئولُ لِهُولْدَر : « نَصيحَتي إِلَيْكَ يا سَيِّدي أَنْ تَلْجأَ إِلى شِرْلُوك هُولمْز ، ٱلَّذي يَسْكُنُ في شارِعِ بِيكَر . إِنَّهُ مُخْبِرٌ سِرِّيٌّ عَظيمٌ ، وَهٰذِهِ ٱلقَضِيَّةُ مِنَ ٱلنَّوْعِ ٱلَّذي طالَما ساعَدَ رِجالَ ٱلشُّرْطَةِ في كَشْفِ أَسْرارِهِ . »

قالَ هُولْدَر ٱلمِسْكينُ : « نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ أَنَّكَ عَلى صَوابٍ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْهُ . إِنَّهُ مَشْهورٌ . سَأَتَّصِلُ بِهِ في ٱلصَّباحِ ٱلباكِرِ . »

– ٥ –

قُلْتُ وَأَنا أَقِفُ أَرْقُبُ ٱلطَّريقَ : « هُولمْز ! هاهُوَ ذا رَجُلٌ مَجْنونٌ يَتَقَدَّمُ في ٱلطَّريقِ . كَيْفَ سَمَحوا لَهُ بِٱلخُروجِ وَحْدَهُ ؟ »

نَهَضَ صَديقي مُتَكاسِلًا مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَوَقَفَ يَنْظُرُ مِنْ فَوْقِ كَتِفي . كانَ صَباحًا بارِدًا مُشْرِقًا ، وَٱلثَّلْجُ ٱلَّذي تَساقَطَ في ٱليَوْمِ ٱلسَّابِقِ يَرْتَفِعُ كَثيفًا فَوْقَ ٱلأَرْضِ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ يَقْتَرِبُ وَحْدَهُ في ٱلطَّريقِ . كانَ رَجُلًا في حَوالَى ٱلخَمْسينَ مِنْ عُمْرِهِ ، يَرْتَدي مَلابِسَ أَنيقةً غاليةً . لٰكِنَّ تَصَرُّفاتِهِ لَمْ تَكُنْ تُلائِمُ مَظْهَرَهُ . فَقَدْ كانَ يَجْري بِسُرْعةٍ ، وَيُحَرِّكُ ذِراعَيْهِ إِلى أَعْلى وَإِلى أَسْفَلُ ، وَيَهُزُّ رَأْسَهُ ، وَقَدِ ٱرْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ تَعْبيراتٌ مَجْنونةٌ .

تَساءَلْتُ : « ما شَأْنُ هٰذا ٱلرَّجُلِ ؟ »

قالَ هُولمْز وَهُوَ يَفْرُكُ يَدَيْهِ : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ قادِمٌ إِلى هُنا يا عَزيزي واطْسُن . »

« هُنا ؟ »



لَمْ تَمْضِ لَحظاتٌ ، حَتّى آندفَعَ آلرَّجُلُ إلى بابِ مَنْزِلِنا ، وَدَقَّ آلجَرَسَ ، فَأَحْدَثَ ضَجَّةً عالِيَةً .

بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ ، كانَ داخِلَ آلبَيْتِ .

كانَتْ في عَيْنَيْهِ نَظْرةُ أَسَفٍ وَأَسًى شَديدَيْنِ ، حَتّى إنَّنا أَشْفَقْنا عَلَيْهِ . وَوَقَفَ آلرَّجُلُ لَحظاتٍ لا يَسْتَطيعُ آلكَلامَ .

أَشارَ إلَيْهِ شِيرْلوك هُولمْز لِيَجْلِسَ عَلى آلمَقْعَدِ ، ثُمَّ أَخَذَ يَتَحَدَّثُ إلَيْهِ في رِقَّةٍ قائِلًا : « لَقَدْ جِئْتَ لِتُخْبِرَني بِمَوْضوعٍ يَشْغَلُكَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ لَقَدْ جِئْتَ

مُسْرِعًا فَأَرْهَقْتَ نَفْسَكَ . يَجِبُ أَنْ تَسْتَريحَ إلى أَنْ تَهْدَأَ ، وَيُسْعِدُني جِدًّا أَنْ أُساعِدَكَ . »

جَلَسَ ٱلرَّجُلُ . وَبَعْدَ قَليلٍ أَخْرَجَ مِنْديلَهُ وَجَفَّفَ عَرَقَهُ ، ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَيْنا قائلًا : « لا شَكَّ أَنكما تَظُنّانِ أَنَّني مَجْنونٌ . »

أَجابَهُ هُولمْز : « أرى أَنَّكَ تُعاني مَتاعِبَ كَبيرَةً . »

« يَعْلَمُ ٱللهُ مَدى ما أُعاني ! مَتاعِبي تَكْفي لِتَجْعَلَني مَجْنونًا . لَقَدْ حَلَّتْ بي مَتاعِبُ مُفاجِئَةٌ وَمُؤْلِمةٌ . إِنَّني مُسْتَعِدٌّ لِتَحَمُّلِ ٱلفَضيحَةِ وَٱلعارِ ، لَكِنْ لَيْسَ هٰذا هُوَ كُلَّ ما في ٱلأَمْرِ .. المَوْضوعُ أَكْبَرُ مِنْ هٰذا وَأَخْطَرُ .. إِنَّ ٱلأَمْرَ لا يَتَعَلَّقُ بي وَحْدي ، وَإِنَّما يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِيَّةٍ نَبيلةٍ في هٰذا ٱلبَلَدِ . إِنَّها سَتُعاني مَعي مِنْ هٰذا ٱلمَوْضوعِ ٱلخَطيرِ إذا لَمْ أَجِدْ لَهُ حَلًّا . »

قالَ هُولمْز : « هَدِّئْ مِنْ نَفْسِكَ يا سَيِّدي ، وَٱشْرَحْ لِيَ ٱلمَوْضوعَ بِوُضوحٍ . »

عِنْدَئِذٍ أَخْبَرَ ٱلسَّيِّدُ أَلِكْسَنْدَر هُولْدَر شِرْلُوك هُولمْز بِقِصَّتِهِ ٱلمُحْزِنَةِ مَعَ ٱلتّاجِ .

بَعْدَ أَنْ فَرَغَ مِنْ قِصَّتِهِ ، قالَ : « لَقَدْ أَخَذوا ٱبْني إلى قِسْمِ ٱلشُّرْطَةِ هٰذا ٱلصَّباحَ ، وَأَسْرَعْتُ أَنا إِلَيْكَ أَطْلُبُ مُساعَدَتَكَ لِإِزالَةِ هٰذا ٱلغُموضِ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ! لَقَدْ فَقَدْتُ سُمْعَتي وَجَواهِري وَٱبْني في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ . لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ! »

جَلَسَ شِيرْلُوك هُولمْز ساكِنًا بِضْعَ دَقائِقَ ، ثُمَّ سَأَلَ ٱلرَّجُلَ :
« هَلْ يَأْتي إلى مَنْزِلِكَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلأَصْدِقاءِ ؟ »

« بَلْ عَدَدٌ قَليلٌ جِدًّا . هُناكَ صَديقٌ لِابْني آرْثَر ... آسمُهُ سير جُورج بِرنْوِيل ، وَقَدْ زارَنا عِدَّةَ مَرّاتٍ ، وَلا أَحَدَ سِواهُ عَلى ما أَظُنُّ . »

« حَسَنًا ! هَلْ تَخْرُجونَ مِنَ ٱلمَنْزِلِ كَثيرًا ؟ »

« آرْثَر يَخْرُجُ ، أَمّا أنا وَماري فَنُلازِمُ ٱلمَنْزِلَ . »

« لَيْسَ هٰذا طَبيعيًّا بِالنِّسْبَةِ لِفَتاةٍ شابَّةٍ . »

« إنَّها فَتاةٌ هادِئَةٌ ، في ٱلرّابِعَةِ وَٱلعِشْرينَ مِنْ عُمْرِها . »

« هَلْ آلَمَها أَيْضًا هٰذا ٱلأَمْرُ ؟ »

« بِشِدَّةٍ ... أَظُنُّ أَنَّ حالَتَها أَسْوَأُ مِنْ حالَتي . »

« إذًا ! فَكُلٌّ مِنْكُما يَعْتَقِدُ أَنَّ آبنَكَ هُوَ ٱلسّارِقُ ؟ »

« لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسي وَٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ . »

« لا أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا دَليلٌ عَلى أَنَّهُ هُوَ ٱلسّارِقُ . لَقَدْ ذَكَرْتَ أَنَّ ٱلتّاجَ كانَ مُلْتَويًا . »

« نَعَمْ . »

« رُبَّما كانَ يُحاوِلُ إصْلاحَهُ ؟ »

« بارَكَ آللهُ فيكَ ! أَنْتَ تُحاوِلُ أَنْ تُساعِدَهُ وَتُساعِدَني ، لٰكِنْ ماذا كانَ يَفْعَلُ هُناكَ ؟ وَإذا لَمْ يَكُنْ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَقُلْ ذٰلِكَ ؟ »

« هٰذا صَحيحٌ . وَإذا كانَ مُذْنِبًا ، فَلِماذا لَمْ يَخْتَلِقْ أُكْذوبَةً لِيَنْفِيَ آلتُّهْمةَ عَنْ نَفْسِهِ ؟ لِماذا آلتَزَمَ آلصَّمْتَ ؟ هُناكَ كَثيرٌ مِنَ آلنِّقاطِ آلمُحَيِّرَةِ في هٰذِهِ آلقَضيَّةِ . لٰكِنْ ما رَأْيُ رِجالِ آلشُّرْطَةِ في آلضَّوْضاءِ آلَّتي أَيْقَظَتْكَ ؟ »

« يَظُنُّونَ أَنَّها آلصَّوْتُ آلَّذي صَدَرَ حينَ كانَ آرْثَر يُغْلِقُ حُجْرَةَ نَوْمِهِ . »

« هٰذا آحتِمالٌ بَعيدٌ . لِأَنَّهُ لَوْ كانَ آرْثَر يَنْوي آلسَّرِقَةَ ، لَحَرَصَ عَلى أَلَّا يُحْدِثَ أَيَّ صَوْتٍ . ماذا فَعَلَ رِجالُ آلشُّرْطَةِ لِلْبَحْثِ عَنِ آلماساتِ آلمَفْقودَةِ ؟ »

« بَحَثوا في كُلِّ مَكانٍ .. تَحْتَ أَرْضيَّةِ آلغُرَفِ .. في آلأَثاثِ ، في كُلِّ مَكانٍ بِآلمَنْزِلِ . »

« هَلْ فَكَّروا في آلبَحْثِ عَنْها خارِجَ آلمَنْزِلِ ؟ »

« نَعَمْ ، في كُلِّ مَكانٍ . لَقَدْ فَتَّشوا آلحَديقَةَ كُلَّها . »

قالَ هُولمْز : « وَآلآنَ ، يا سَيِّدي آلعَزيزَ ، أَلا تَرى أَنَّ هٰذا آلمَوْضوعَ لَيْسَ بِالبَساطَةِ آلَّتي تَتَصَوَّرُها أَنْتَ وَرِجالُ آلشُّرْطَةِ ؟ أَنْتَ تَفْتَرِضُ أَنَّ آبنَكَ قَدْ غادَرَ فِراشَهُ ، وَذَهَبَ إلى غُرْفَتِكَ آلخاصةِ ، وَعَثَرَ عَلى آلتَّاجِ ، وَكَسَرَ قِطْعَةً مِنْهُ ،

وَأَخذَ ٱلماساتِ ٱلثَّلاثَ وَذَهَبَ وَأَخفاها بِذَكاءٍ شَديدٍ في مَكانٍ لَمْ يَتَمَكَّنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلعُثورِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ عادَ إلى ٱلغُرْفَةِ مَرَّةً أُخرى مُعَرِّضًا نَفْسَهُ لِخَطَرٍ عَظيمٍ ، هُوَ ٱكتِشافُ أَمْرِهِ . إِنَّني أَسْأَلُكَ : هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلفِكْرَةَ مَعْقولَةٌ عَلى أَيِّ وَجْهٍ ؟ »

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : « ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ ٱلأَمْرُ إِذًا ؟ إذا لَمْ يَكُنِ ٱبْني مُذْنِبًا ، فَلِمَ لَمْ يَشْرَحِ ٱلأَمْرَ ؟ »

أَجابَ هُولمْز : « عَلَيْنا نَحْنُ أَنْ نَجِدَ إِجابَةً عَنْ هٰذا ٱلسُّؤالِ . وَٱلآنَ ، إذا سَمَحْتَ يا سَيِّدُ هُولْدَر أُريدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلى مَنْزِلِكَ في سْتريتام ، وَأَرى كُلَّ شَيْءٍ بِنَفْسي . »

طَلَبَ هُولمْز مِنّي أَنْ أُرافِقَهُ ، فَرَحَّبْتُ بِذٰلِكَ ، لِأَنَّني كُنْتُ أَرْغَبُ بِشِدَّةٍ في أَنْ أَعْرِفَ ماذا سَيَفْعَلُ ، خُصوصًا أَنَّني كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ آرْثَر هُوَ ٱلجاني . لٰكِنَّني كُنْتُ عَلى ثِقَةٍ كَبيرَةٍ في تَقْديرِ هُولمْز لِلأُمورِ ، وَأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَكونَ هُناكَ تَفْسيرٌ آخَرُ لِاخْتِفاءِ ٱلماساتِ .

كانَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر سَعيدًا بِٱلأَمَلِ ٱلضَّعيفِ ٱلَّذي أَعْطاهُ إِيّاهُ شيرْلُوك هُولمْز .

— ٧ —

كانَ ٱلمَنْزِلُ ٱلقائِمُ في شارِعِ سْتريتام مَنْزِلًا فَسيحًا ، أُقيمَ بَعيدًا عَنِ ٱلطَّريقِ

إلى حَدٍّ ما . وَ كانَ هُناكَ مَمَرٌّ واسِعٌ يَمْتَدُّ مِنَ ٱلبَوّابَةِ إلى ٱلمَنْزِلِ ، وَ كانَ يَتَفَرَّعُ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلأَيْمَنِ مَمَرٌّ ضَيِّقٌ يَمْتَدُّ بَيْنَ صَفَّيْنِ مِنَ ٱلأَشْجارِ ٱلصَّغيرةِ ، يُؤَدّي إلى بابِ ٱلمَطْبَخِ . وَ كانَ ٱلثَّلْجُ يُغَطّي ٱلحَديقَةَ .

دارَ هُولمْز بِبُطْءٍ حَوْلَ ٱلمَنْزِلِ مِنْ كُلِّ جَوانِبِهِ ، وَ تَأَمَّلَ ٱلواجِهَةَ ، ثُمَّ سارَ في ٱلمَمَرِّ ٱلضَّيِّقِ ٱلمُؤَدّي إلى ٱلمَطْبَخِ ، ثُمَّ ٱخْتَرَقَ ٱلحَديقَةَ إلى مَمَرٍّ صَغيرٍ خَلْفَ ٱلمَنْزِلِ .

أَخَذَني ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر إلى ٱلدّاخِلِ ، حَيْثُ جَلَسْنا نَنْتَظِرُ هُولمْز ؛ وَ إذا بِٱلبابِ يُفْتَحُ ، وَ تَدْخُلُ عَلَيْنا سَيِّدةٌ شابَّةٌ ، لَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ رَأَيْتُ وَجْهًا شاحِبًا مِثْلَ وَجْهِها . لَمْ يَكُنْ لِشَفَتَيْها لَوْنٌ ، وَ كانَتْ عَيْناها حَمْراوَيْنِ مِنَ ٱلبُكاءِ . وَ لَمْ تَنْتَبِهْ إلى وُجودي ، بَلِ ٱتَّجَهَتْ مُباشَرَةً إلى عَمِّها قائلةً : « أَلَمْ تُصْدِرْ أَمْرَكَ بَعْدُ بِأَنْ يُطْلِقوا سَراحَ آرْثَر ؟ »

« لا ، لا يا ماري ؛ لا بُدَّ أَنْ يَقْتَنِعَ رِجالُ ٱلشُّرْطَةِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُذْنِبٍ . »

« لٰكِنَّني واثِقَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا ، وَ أَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ خَطإٍ ؛ وَ أَنا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَأْسَفُ لِأَنَّكَ تَصَرَّفْتَ بِدونِ تَفْكيرٍ . »

« لِماذا إذًا ٱلتَزَمَ ٱلصَّمْتَ إذا لَمْ يَكُنْ قَدْ سَرَقَ ٱلماساتِ ؟ »

« مَنْ يَدْري ؟ لَعَلَّهُ غَضِبَ بِشِدَّةٍ لِأَنَّكَ لَمْ تَعُدْ تَثِقُ بِهِ ، فَامتَنَعَ عَنِ ٱلكَلامِ . »

« لٰكِنَّني رَأَيْتُهُ وَ ٱلتّاجُ بَيْنَ يَدَيْهِ ! »

« مِنَ ٱلمُخيف حَقًّا أَنْ أُفَكِّرَ في وُجودِ عَزيزِنا آرْثَر في ٱلسِّجْنِ . »

« لَنْ أَستَسْلِمَ يا ماري إلى أَنْ نَعْثُرَ عَلى ٱلماساتِ . لَقَدْ أَحْضَرْتُ أَحَدَ السَّادةِ مِنْ لَنْدَن ، لِيَبْحَثَ هٰـذا ٱلمَوْضوعَ بِعِنايةٍ أَكْثَرَ . »

قالَتْ وَهيَ تَنْظُرُ نَحْوي : « أَهوَ هٰـذا ٱلسَّيِّدُ ؟ »

« لا ، صَديقُهُ . لَقَدْ طَلَبَ مِنّا أَنْ نَترُكَهُ وَحْدَهُ . إنَّهُ ٱلآنَ في ٱلمَمَرِّ ٱلمُؤَدّي إلى حَظيرةِ ٱلخَيْلِ . »

« مَمَرُّ حَظيرةِ ٱلخَيْلِ !! ماذا يُمْكِنُ أَنْ يَجِدَ هُناكَ ؟ »

— ٨ —

دَخَلَ هُولمْز ٱلغُرْفَةَ ، ثُمَّ قالَ : « أَعْتَقِدُ أَنَّكِ ٱلآنِسَةُ ماري هُولْدَر . أَ تَسْمَحِينَ لي أَنْ أُوَجِّهَ إلَيْكِ سُؤالًا أَوْ سؤالَيْنِ ؟ »

« تَفَضَّلْ يا سَيِّدي ! سَلْ ما تَشاءُ لَعَلَّ هٰـذا يُساعِدُ عَلى تَوْضيحِ ما حَدَثَ . »

« أَلَمْ تَسْمَعي شَيْئًا في ٱللَّيْلةِ ٱلماضِيَةِ ؟ »

« لَمْ أَسْمَعْ أَيَّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَ صِياحَ عَمّي . »

« هَلْ كُنْتِ قَدْ أَغْلَقْتِ كُلَّ ٱلنَّوافِذِ ؟ »

« نَعَـــــمْ . »

« هَلْ كانَتْ مُغْلَقَةً هٰـذا ٱلصَّباحَ ؟ »

« نَعَـــمْ . »

« عِنْدَكِ خادِمَةٌ لَها صَديقٌ ؛ أَظُنُّ أَنَّكِ أَخْبَرْتِ عَمَّكِ أَنَّها غادَرَتِ ٱلمَنْزِلَ لَيْلَةَ أَمْسِ ؟ »

« نَعَمْ . وَ هِيَ ٱلفَتاةُ ٱلَّتي أَحْضَرَتْ لَنا ٱلقَهْوةَ لَيْلَةَ أَمْسِ . لَعَلَّها سَمِعَتْ عَمِّي يَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلتَّاجِ . »

« فَهِمْتُ . أَنْتِ تَظُنِّينَ أَنَّها خَرَجَتْ لِمُقابَلَةِ صَديقِها ، حَيْثُ دَبَّرَ الاثْنانِ سَرِقَةَ ٱلتَّاجِ . هَلْ رَأَيْتِها تَعودُ مِنْ بابِ ٱلمَطْبَخِ ؟ »

« نَعَمْ ، لَقَدْ دَخَلَتْ عِنْدَما ذَهَبْتُ لِأُغْلِقَ ٱلبابَ بِٱلمِفْتاحِ . كَذٰلِكَ رَأَيْتُ صَديقَها يَقِفُ قَريبًا جِدًّا مِنَ ٱلبَيْتِ . »

« هَلْ تَعْرِفينَهُ ؟ »

« نَعَمْ أَعْرِفُهُ . إِنَّهُ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي يَشْتَري لَنا ما نَحْتاجُهُ مِنْ لَحْمٍ . إِسْمُهُ فْرانْسِيس بْروسْبِر . »

قالَ هُولمْز : « هَلْ كانَ يَقِفُ إِلى يَسارِ ٱلبابِ ؟ »

« هٰـذا صَحيحٌ . »

« وَلِهـذا ٱلرَّجُلِ ساقٌ خَشَبِيَّةٌ ؟ »

هُنا ظَهَرَ ٱلخَوْفُ في عَيْنَيْ ماري ، وَقالَتْ : « كَأَنَّكَ ساحِرٌ ! كَيْفَ عَرَفْتَ

كُلّ هٰذا ؟ » وَ ٱبتَسَمَتْ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ ٱبتِسامٍ عَلى وَجْهِ هُولمْز ٱلنَّحيلِ ٱلذَّكِيِّ .

« أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ أُلقِيَ نَظْرةً عَلى نَوافِذِ ٱلدَّوْرِ ٱلأَرْضِيِّ ، وَ أَنْ أَصْعَدَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْويِّ لِتَفْتيشِهِ . »

أَخَذَ هُولمْز يَتَنَقَّلُ بِسُرْعةٍ مِنْ نافِذةٍ إلى نافِذةٍ ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ ٱلنَّافِذةِ ٱلواسِعةِ ٱلَّتي تُطِلُّ مِنَ ٱلبَهْوِ عَلى مَمَرٍّ حَظيرةِ ٱلخَيْلِ ، وَ فَتَحَها ، وَ فَحَصَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْها فَحْصًا دَقيقًا جِدًّا .

قالَ أَخيرًا : « هَيَّا نَصْعَدِ ٱلآنَ إلى ٱلطَّابَقِ ٱلعُلْويِّ . »

في غُرْفةِ مُديرِ ٱلبَنْكِ ٱلخاصَّةِ ، ٱتَّجَهَ هُولمْز في ٱلبِدايَةِ إلى ٱلحَقيبَةِ ٱلَّتي كانَ بِها ٱلتَّاجُ ، وَ فَحَصَ ٱلقُفْلَ فَحْصًا دَقيقًا .

ثُمَّ فَتَحَ ٱلحَقيبةَ ، وَ أَخْرَجَ ٱلتَّاجَ . كانَ طَرَفُهُ مُلْتَوِيًا وَ مَكْسورًا عِنْدَ ٱلمَكانِ ٱلَّذي تَمَّ ٱنتِزاعُ جُزْءٍ مِنْهُ .

قالَ هُولمْز : « الآنَ يا سَيِّدُ هُولْدَر ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُحاوِلَ كَسْرَ ٱلطَّرَفِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلتَّاجِ ؟ »

ظَهَرَتِ ٱلدَّهْشةُ عَلى مُديرِ ٱلبَنْكِ ، وَقالَ : « بِالتَّأْكيدِ لَنْ أُحاوِلَ . »

« إذًا سَأُحاوِلُ أنا . » وَفَجْأَةً حاوَلَ هُولمْز بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَنْ يَكْسِرَ طَرَفَ ٱلتَّاجِ . لٰكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ .

قالَ : «لَقَدْ شَعَرْتُ بِهِ يَتَحَرَّكُ قَليلًا ، لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ كَسْرَهُ ، رَغْمَ أَنَّ أَصابِعي قَوِيَّةٌ جِدًّا . وَلا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا يَسْتَطيعُ كَسْرَهُ . وَإِذا كُنْتُ قَدْ كَسَرْتُهُ ، لَنَتَجَ عَنْ ذٰلِكَ صَوْتٌ كَصَوْتِ طَلْقَةِ ٱلْمُسَدَّسِ . هَلْ سَمِعْتَ مِثْلَ هٰذا ٱلصَّوْتِ ؟ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ في مَكانٍ بَعيدٍ . »

قالَ هُولْدَر : «لَسْتُ أَدْري كَيْفَ أُفَسِّرُ ٱلأَمْرَ . »

« ما رَأْيُكِ في هٰذا ٱلأَمْرِ يا آنِسَةُ هولْدَر ؟ »

«إِنَّني في حَيْرَةٍ مِثْلَ عَمّي تَمامًا . »

قالَ هُولمْز لِهُولْدَر : « أَ لَمْ يَكُنِ ٱبْنُكَ يَلْبَسُ حِذاءً عِنْدَما رَأَيْتَهُ ؟ »

«لَمْ يَكُنْ يَلْبَسُ سِوى قَميصِهِ وَ سِرْوالِهِ . »

« أَشْكُرُكَ ؛ أَعْتَقِدُ أَنَّ ٱلأَمْرَ يُمْكِنُ حَلُّهُ بِسُهولَةٍ جِدًّا إِذا كُنْتَ تَنْوي مُساعَدَتي يا سَيِّدُ هُولْدَر . سَأَذْهَبُ ٱلآنَ إِلى خارِجِ ٱلدّارِ مَرَّةً أُخْرى . »

— ٩ —

خَرَجَ هُولمْز بِمُفْرَدِهِ ، وَقالَ إِنَّ أَيَّ مَزيدٍ مِنْ آثارِ ٱلأَقْدامِ قَدْ يَجْعَلُ عَمَلَهُ أَكْثَرَ صُعوبَةً . وَعِنْدَما رَجَعَ بَعْدَ حَوالَى ساعَةٍ ، كانَتِ ٱلثُّلوجُ تُغَطّي قَدَمَيْهِ ، لٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ ٱلكَثيرُ لِيَقولَهُ لَنا .

« أَعْتَقِدُ أَنَّني فَعَلْتُ كُلَّ ما يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَهُ هُنا . سَأَعودُ ٱلآنَ إِلى مَنْزِلي . »

«لٰكِنْ أَيْنَ ٱلماساتُ يا سَيِّدُ هُولمْز ؟»

«لَسْتُ أَدْري .»

ظَهَرَ ٱلبُؤْسُ عَلى وَجْهِ مُديرِ ٱلبَنْكِ وَصاحَ : «لَنْ أَراها مَرَّةً ثانِيَةً ! وَٱبْني ؟ ! هَلْ هُناكَ أَمَلٌ ؟»

«لَمْ يَتَغَيَّرْ رَأْيي .»

«ما ٱلعَمَلُ ؟»

«يَجِبُ أَنْ تُوافِقَ عَلى أَنْ أُنْفِقَ – لِأَجْلِكَ – مَبْلَغًا كَبيرًا مِنَ ٱلمالِ . فَإِذا وافَقْتَ ، وَحَضَرْتَ إِلَيَّ غَدًا في مَنْزِلي ، سَيَسُرُّني أَنْ أُخْبِرَكَ بِما تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ .»

إِستَطَعْتُ أَنْ أُدْرِكَ أَنَّ هُولمْز قَدِ ٱتَّخَذَ قَرارَهُ في ٱلقَضِيَّةِ ، لٰكِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَصَوَّرَ ماذا يَدورُ في خاطِرِهِ . وَلَمْ يُحَدِّثْني في ٱلطَّريقِ إِلى ٱلبَيْتِ .

ما إِنْ وَصَلْنا شارِعَ بيكَر ، حَتَّى أَسْرَعَ إِلى غُرْفَتِهِ ، ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ عِدَّةِ دَقائِقَ في زِيِّ شَحَّاذٍ ، كانَ تَنَكُّرُهُ كامِلًا ، وَهُوَ يَرْتَدي مِعْطَفًا قَديمًا رَفَعَ ياقَتَهُ إِلى أَعْلى ، وَوَضَعَ قَدَمَيْهِ في حِذاءٍ عَتيقٍ ، ثُمَّ قالَ لي : «أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذا ٱلتَّنَكُّرَ سَيُساعِدُني كَثيرًا . كُنْتُ أُحِبُّ يا واطْسُن أَنْ تَأْتِيَ مَعي ، لٰكِنَّني أَرى أَنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَلَّا تَصْحَبَني . آمُلُ أَنْ أَعودَ بَعْدَ ساعاتٍ قَليلَةٍ .»

« بَيْنَما كُنْتُ جالِسًا أَتَناوَلُ ٱلشَّايَ ، عادَ هُولمْز . كانَ يَبْدو راضِيًا تَمامًا ،

وَقَدْ أَمْسَكَ بِحِذاءٍ قَديمٍ في يَدِهِ . ثُمَّ أَلْقى بِالحِذاءِ في أَحَدِ ٱلأَرْكانِ ، وَتَناوَلَ قَدَحًا مِنَ ٱلشّاي ، وَقالَ : « لَمْ أَنْتَهِ بَعْدُ ، وَسَأَخْرُجُ ثانِيَةً خِلالَ دَقائِقَ . »

« إلى أَيْنَ ؟ »

« إلى ٱلجانِبِ الآخَرِ مِنْ لَنْدَن . قَدْ أَتأَخَّرُ فَلا تَنْتَظِرْني . » سَأَلْتُهُ مُتَوَقِّعًا أَنْ يُخْبِرَني بِشَيْءٍ : « هَلْ حالَفَكَ ٱلحَظُّ ؟ »

« نَعَمْ ، أَعْتَقِدُ ذٰلِكَ . لَقَدْ عُدْتُ إلى شارِعِ سْتْرِيتام ، لٰكِنَّني لَمْ أَذْهَبْ إلى مَنْزِلِ هُولْدَر ثانيةً . إِنَّها قَضِيَّةٌ مُثيرةٌ جِدًّا ياواطْسُن . يَجِبُ أَنْ أَعودَ ٱلآنَ لِارْتِداءِ مَلابِسي ٱلعادِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ . »

— ١٠ —

لَمْ أَعْرِفْ مَتى عادَ هُولمْز مِنَ ٱلخارِجِ ، لِأَنَّني ذَهَبْتُ إلى فِراشي قَبْلَ عَوْدَتِهِ وَفي ٱلصَّباحِ ، عِنْدَما دَخَلْتُ غُرْفَةَ ٱلطَّعامِ لِأَتَناوَلَ إفْطاري ، وَجَدْتُهُ جالِسًا يُمْسِكُ بِإِحْدى يَدَيْهِ قَدَحًا مِنَ ٱلقَهْوةِ ، وَبالْيَدِ ٱلأُخْرى صَحيفَةً . وَكانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلنَّشاطُ .

دُقَّ جَرَسُ ٱلبابِ . وَعِنْدَما فَتَحْتُ لِأَرى مَنِ ٱلطّارِقُ ، إذا بِمُديرِ ٱلبَنْكِ يَدْخُلُ إلى ٱلغُرْفةِ . كانَ يَبْدو عَلَيْهِ ٱلتَّعَبُ وَٱلمَرَضُ ٱلشَّديدُ . قالَ : « لَسْتُ أَدْري ماذا فَعَلْتُ في حَياتي ، حَتّى أَسْتَحِقَّ سُوءَ ٱلحَظِّ هٰذا . قَبْلَ يَوْمَينِ فَقَطْ كُنْتُ رَجُلًا سَعيدًا ، لا يُقْلِقُني شَيْءٌ في ٱلدُّنْيا ، لٰكِنَّني ٱلآنَ لَمْ أَعُدْ كَذٰلِكَ ؛ لَقَدْ هَجَرَتْ ماري ٱلمَنْزِلَ ! »

« هَجَرَتِ ٱلمَنْزِلَ !؟ »

« نَعَمْ ، لَمْ تَنَمْ في ٱلمَنْزِلِ ٱللَّيْلَةَ ، وَقَدْ تَرَكَتْ لي رِسالَةً عَلى مائدةِ ٱلبَهْوِ . »
وَأَعْطى هُولمْز ٱلرِّسالَةَ ، فَقَرَأَ :

عَمِّيَ ٱلعَزيزَ :

أَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ مَتاعِبِكَ سَبَبُها أَخطائي . وَلَعَلَّني لَوْ كُنْتُ قَدْ تَصَرَّفْتُ بِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ ، لَما قابَلَتْكَ أَيُّ مَتاعِبَ . لَمْ أَعُدْ أَسْتَطيعُ ٱلبَقاءَ في مَنْزِلِكَ ، وَهٰذا ٱلخاطِرُ يُلِحُّ عَلى ذِهْني مُنْذُ فَتْرَةٍ ، لِذٰلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أَتْرُكَكَ إلى ٱلأَبَدِ . لا تَقْلَقْ ؛ فَقَدْ تَمَّ تَأْمينُ مُسْتَقْبَلي . أَرْجو أَلَّا تَبْحَثَ عَنِّي ، وَسَأَظَلُّ في حَياتي وَمَماتي

المُحِبَّةُ لَكَ دائمًا

مـــــاري

سَأَلَ هُولْدَر : « ماذا تَقْصِدُ ماري يا سَيِّدُ هُولمْز ؟ »

« لا أَعْرِفُ ، لٰكِنَّني أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَهابَها فيه خَيْرٌ كَثيرٌ . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ مَتاعِبَكَ سَتَنْتَهي قَريبًا جِدًّا . »

« هَلْ هٰذا رَأْيُكَ ؟ هَلْ وَصَلْتَ إلى شَيْءٍ ؟ »

سَأَلَهُ هُولمْز بِهُدوءٍ : « هَلْ أَنْتَ عَلى ٱستِعدادٍ لِدَفْعِ أَلْفِ جُنَيْهٍ عَنْ كُلِّ ماسةٍ مِنْ ماساتِكَ ٱلثَّلاثِ ٱلَّتي فُقِدَتْ مِنَ ٱلتَّاجِ ؟ »

« لَقَدْ أَحْضَرْتُ عَشَرَةَ آلافِ جُنَيْهٍ . »

« لا ! تَكْفي ثَلاثَةُ آلافٍ فَقَطْ . هَيَّا أَعْطِني إِيَّاها . »

– ١١ –

عِنْدَما سَلَّمَ مُديرُ ٱلبَنْكِ ٱلنُّقودَ إلى هُولمْز ، أَخْرَجَ ٱلمُخْبِرُ ٱلعَظيمُ مِنْ جَيْبِهِ قِطْعَةً صَغيرةً مِنَ ٱلذَّهَبِ ، مُثَبَّتَةً بِها ثَلاثُ ماساتٍ ، وَوَضَعَها فَوْقَ ٱلمائِدَةِ .

صاحَ هُولْدَر في فَرَحٍ ، وَهُوَ يُمْسِكُ ٱلذَّهَبَ وَٱلماساتِ : « لَقَدْ وَجَدْتُها ! لَقَدْ نَجَوْتُ ! لَقَدْ نَجَوْتُ ! »

قالَ هُولمْز بِشَيْءٍ مِنَ ٱلصَّرامَةِ : « لا تَزالُ مَدينًا بِشَيْءٍ آخَرَ يا سَيِّدُ هُولْدَر . »

قالَ هُولْدَر ، وَهُوَ يَتَحَسَّسُ نُقودَهُ مَرَّةً ثانِيَةً : « مَدينٌ ! أَخْبِرْني .. ما مِقْدارُ دَيْني حَتَّى أُسَدِّدَهُ ؟ »

« لا ، لَيْسَتْ نُقودًا ؛ ٱلأَمْرُ لا يَتَعَلَّقُ بي ، بَلْ يَتَعَلَّقُ بِابْنِكَ ٱلشَّهْمِ . لا بُدَّ أَنْ يَشْعُرَ بِمَدى أَسَفِكَ لِأَنَّكَ شَكَكْتَ فِيهِ . لَقَدِ ٱلتَزَمَ ٱلصَّمْتَ لِيُنْقِذَ ٱلفَتاةَ ٱلَّتي أَحَبَّها . »

« إِذًا لَمْ يَكُنْ آرْثَر هُوَ ٱلَّذي أَخَذَها ؟! أَواثِقٌ أَنْتَ مِنْ ذٰلِكَ ؟ يَجِبُ أَنْ نُسْرِعَ إِلَيْهِ في ٱلحالِ وَنُخْبِرَهُ بِالحَقيقَةِ . »

« إِنَّهُ يَعْرِفُها . لَقَدْ ذَهَبْتُ لِرُؤْيَتِهِ ، وَرَفَضَ أَنْ يُخْبِرَني بِما حَدَثَ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنا . »

« اِشْرَحْ لي بِحَقِّ ٱلسَّماءِ يا سَيِّدي : ما سِرُّ هٰذِهِ ٱلمَسْأَلَةِ ؟ »

« مِنَ ٱلبِدايَةِ ، يَجِبُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِشَيْءٍ سَيُؤْلِمُكَ كَثيرًا . لَقَدْ هَرَبَتْ ماري مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل . »

« ماري ؟! مُسْتَحيلٌ ! »

« هٰـذا هُوَ ٱلواقِعُ . فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْتَ أَوِ ٱبنُكَ أَنْ تَكْتَشِفا مِقْدارَ سُوءِ سُلوكِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذي سَمَحْتُما لَهُ أَنْ يَدْخُلَ ٱلمَنْزِلَ . إِنَّهُ رَجُلٌ لا قَلْبَ لَهُ وَلا خَيْرَ فيهِ . لَقَدْ صَدَّقَتْهُ ماري عِنْدَما قالَ لَها إِنَّهُ يُحِبُّها . تَمامًا كَما صَدَّقَتْهُ فَتَياتٌ كَثيراتٌ قَبْلَها . لَقَدِ ٱعتادَتْ أَنْ تُقابِلَهُ كُلَّ مَساءٍ . »

صاحَ مُديرُ ٱلبَنْكِ : « لا ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُصَدِّقَ هٰـذا ! » وَشَحَبَ وَجْهُهُ .

قالَ هُولمْز : « سَأُخْبِرُكَ كَيْفَ تَمَّ أَخْذُ ٱلماساتِ . عِنْدَما ذَهَبْتَ إِلى فِراشِكَ ، ذَهَبَتْ ماري إِلى ٱلبَهْوِ وَفَتَحَتِ ٱلنَّافِذَةَ ٱلواسِعَةَ ٱلمَوْجودَةَ بِهِ ، وَتَحَدَّثَتْ مَعَ سِير جُورج بِرنْوِيل ٱلَّذي كانَ يَقِفُ في ٱلخارِجِ . لَقَدْ رَأَيْتُ آثارَ قَدَمَيْهِ عَلى ٱلثَّلْجِ ، وَظَهَرَ بِوُضوحٍ أَنَّهُ ظَلَّ واقِفًا وَقْتًا طَويلًا ، فَقَدْ دَلَّتِ ٱلآثارُ عَلى حُدوثِ ضَغْطٍ شَديدٍ عَلى ٱلثَّلْجِ . فَقَدْ سَمِعَ مِنْ ماري عَنِ ٱلتّاجِ ، فَأَمَرَها بِأَخْذِهِ وَإِحْضارِهِ إِلَيْهِ . أَنا واثِقٌ أَنَّها تُحِبُّكَ حُبًّا صادِقًا ، لٰـكِنَّهُ يُسَيْطِرُ عَلَيْها سَيْطَرَةً قَوِيَّةً . في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ ، رَأَتْكَ وَأَنْتَ تَهْبِطُ ٱلدَّرَجَ ، فَأَسْرَعَتْ تُغْلِقُ ٱلنَّافِذَةَ ، وَأَخْبَرَتْكَ بِوُجودِ ٱلخادِمَةِ بِالخارِجِ . وَكانَ ذٰلِكَ صَحيحًا . »

وَواصَلَ هُولمْز حَديثَهُ : « كانَ ٱبنُكَ آرْثَر قَدْ ذَهَبَ إِلى فِراشِهِ بَعْدَ مُقابَلَتِكَ ، لٰـكِنَّهُ لَمْ يَنَمْ بِسَبَبِ ٱلشِّجارِ ٱلَّذي حَدَثَ بَيْنَكُما . وَفي مُنْتَصَفِ

ٱللَّيْلِ ، سَمِعَ شَخْصًا يَمُرُّ بِهُدوءٍ خارِجَ بابِ غُرْفَتِهِ . وَعِنْدَما ٱستَطْلَعَ ٱلأَمْرَ ، كانَتْ دَهْشَتُهُ كَبيرةً . فَقَدْ رَأى ماري تَدْخُلُ غُرْفَتَكَ ٱلخاصَّةَ . عِنْدَئِذٍ آرتَدى قَميصًا وَسِرْوالًا ، وَٱنتَظَرَ في ٱلظَّلامِ يُراقِبُ ما قَدْ يَحْدُثُ .

« عِنْدَما خَرَجَتْ ماري مِنَ ٱلغُرْفَةِ تَحْمِلُ ٱلتّاجَ ٱلثَّمينَ ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ عَيْنَيْهِ ، فَتَبِعَها بِهُدوءٍ . وَهَبَطَتْ ماري إلى ٱلبَهْوِ مَرَّةً أُخرى ، وَفَتَحَتِ ٱلنّافِذَةَ ، وَسَلَّمَتِ ٱلتّاجَ إلى شَخْصٍ يَقِفُ بِالخارِجِ ، ثُمَّ أَغْلَقَتِ ٱلنّافِذَةَ ، وَعادَتْ بِسُرْعَةٍ إلى غُرْفَتِها . »

نَظَرَ شِرْلُوك هُولمز إلى هُولْدَر مُتَسائِلًا : « ماذا كانَ يَسْتَطيعُ آبنُكَ أَنْ يَفْعَلَ ؟ لَقَدْ كانَ يُحِبُّ ماري ، وَفي نَفْسِ ٱلوَقْتِ كانَ يَجِبُ أَنْ يُوقِفَ ٱلجَريمَةَ فَاندَفَعَ إلى ٱلطّابَقِ ٱلأَرْضِيِّ ، وَفَتَحَ ٱلنّافِذَةَ ، وَقَفَزَ مِنْها فَوْقَ ٱلثَّلْجِ ، حَيْثُ آستَطاعَ أَنْ يَرى شَبَحَ إنسانٍ في ضَوْءِ ٱلقَمَرِ . كانَ هُوَ سِير جُورج بِرنُويل . وَأَمْسَكَ بِهِ وَتَصارَعَ مَعَهُ ، وَجَرَحَهُ فَوْقَ عَيْنِهِ . عِنْدَئِذٍ آنكَسَرَ ٱلتّاجُ ، وَآستَطاعَ آرْثَر أَنْ يَسْتَرِدَّهُ وَيَعودَ بِهِ إلى ٱلمَنْزِلِ جَرْيًا . وَدَخَلَ مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَأَغْلَقَها ، وَذَهَبَ إلى غُرْفَتِكَ ٱلخاصَّةِ . لَقَدْ كانَ يُحاوِلُ إصْلاحَ ٱلتّاجِ عِنْدَما دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَوَجَدْتَهُ هُناكَ . »

هَمَسَ مُديرُ ٱلبَنْكِ : « هَلْ هٰذا مُمْكِنٌ ؟ »

« لَقَدْ أَثَرْتَ غَضَبَهُ ، وَوَصَفْتَهُ بِأَنَّهُ لِصٌّ ، في ٱلوَقْتِ ٱلَّذي كانَ يَرى فيهِ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مِنْكَ ٱلشُّكْرَ ، وَقَرَّرَ أَلّا يُخْبِرَكَ بِالحَقيقَةِ . »

صاحَ ٱلسَّيِّدُ هُولْدَر : « إِذًا فَهٰـذا هُوَ سَبَبُ إِغماءِ ماري عِنْدَما رَأَتِ ٱلتَّاجَ ؟! يالي مِنْ غَبِيٍّ أَعْمى ! وَعِنْدَما طَلَبَ آرْثَر مِنِّي أَنْ يَخْرُجَ لِمُدَّةِ خَمْسِ دَقائِقَ ، كانَ يُريدُ ٱلبَحْثَ عَنِ ٱلجُزْءِ ٱلمَفْقودِ مِنَ ٱلتَّاجِ . كَمْ كُنْتُ قاسِيًا عَلَيْهِ ! »

قالَ هُولمْز : « لَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَما ذَهَبْتُ إِلى ٱلحَديقَةِ آثارَ ٱلأَقْدامِ عَلى ٱلثَّلْجِ . رَأَيْتُ أَقْدامَ آرْثَر بِغَيْرِ حِذاءٍ . وَرَأَيْتُ ٱلمَكانَ ٱلَّذي تَكَسَّرَ فيهِ ٱلثَّلْجُ بِسَبَبِ ٱلمَعْرَكَةِ ، وَرَأَيْتُ بِضْعَ قَطَراتٍ مِنَ ٱلدَّمِ ، وَهٰـكَذا عَرَفْتُ أَنَّني على صَوابٍ في آستِنْتاجاتي .. لَقَدْ ظَهَرَتْ أَيْضًا آثارُ أَقدامِ سِير جُورج بِرنْوِيل حَتَّى نِهايَةِ مَمَرِّ حَظيرَةِ ٱلخَيْلِ . كَما أَنَّ قَطَراتِ ٱلدَّمِ أَوْضَحَتِ ٱلأَمْرَ . »

– ١٢ –

« لَقَدْ أَخْبَرَتْني أَنَّهُ لا يُوجَدُ أَصْدِقاءُ كَثيرونَ يَتَرَدَّدونَ عَلى مَنْزِلِكَ . وَأَذْكُرُ أَنَّكَ قُلْتَ إِنَّ سِير جُورج هُوَ ٱلوَحيدُ ٱلَّذي يَزورُكُمْ . لَقَدْ كُنْتُ أَعرِفُ أَنَّهُ رَجُلٌ فاسِدٌ . وَقَدْ ذَهَبْتُ إِلى مَنْزِلِهِ ٱليَوْمَ كَشَحَّـاذٍ ، وَطَلَبْتُ مِنْ خادِمِهِ بَعْضَ ٱلمَلابِسِ ٱلقَديمَةِ . وَكَمْ كُنْتُ مَحْظوظًا ، فَقَدْ أَعْطاني حِذاءً لايَزالُ مُبْتَلًّا ، كانَ سَيِّدُهُ قَدِ آستَغْنى عَنْهُ في ذٰلِكَ ٱليَوْمِ . كَـذٰلِكَ أَخْبَرَني أَنَّ سِير جُورج مَجْروحٌ فَوْقَ عَيْنِهِ . وَعِنْدَما أَخَذْتُ ٱلحِذاءَ إِلى سْترِيتام ، وَجَدْتُهُ يُطابِقُ آثارَ ٱلأَقْدامِ خارِجَ نافِذَةِ ٱلبَهْوِ . »

« عِنْدَئِذٍ وَجَدْتُ أَنَّهُ أَصْبَحَتْ أَمامي مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ .. كانَ لا بُدَّ أَنْ أَسْتَعيدَ آلماساتِ مِنْهُ . »

« لَقَدْ خَلَعْتُ ٱلمَلابِسَ ٱلَّتي كُنْتُ أَتَخَفَّى فيها كَشَحَّاذٍ ، وَذَهَبْتُ لِمُقابَلَةِ سِير جُورج . وَقَدْ حاوَلَ في بِدايَةِ ٱلأَمْرِ أَلَّا يَعْتَرِفَ بِشَيْءٍ ، لٰكِنْ عِنْدَما وَجَدَ أَنَّني أَعْرِفُ ٱلحَقيقَةَ ، تَناوَلَ عَصًا غَليظَةً وَٱندَفَعَ نَحْوي ، وَقَبْلَ أَنْ يَضْرِبَني صَوَّبْتُ مُسَدَّسي إِلى رَأْسِهِ ، عِنْدَئِذٍ وَجَدَ مِنَ ٱلأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِغَيْرِ عُنْفٍ . وَقَدْ قُلْتُ لَهُ إِنَّني عَلى ٱسْتِعدادٍ لِأَنْ أُعْطِيَهُ ثَلاثَةَ آلافِ جُنَيْهٍ مُقابِلَ ٱلماساتِ . وَوَعَدْتُهُ أَلَّا يَسْمَعَ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ ٱلأَمْرِ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

« ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلى ٱبنِكَ آرْثَر أَزُفُّ إِلَيْهِ هٰذِهِ ٱلأَنْباءَ ٱلطَّيِّبَةَ ، وَأَخيرًا عُدْتُ إِلى فِراشي في ٱلسَّاعَةِ ٱلثَّانِيَةِ صَباحًا . أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يَوْمًا حافِلًا بالعَمَلِ ٱلشَّاقِّ . »

قالَ مُديرُ ٱلبَنْكِ ، وَهُوَ يَنْهَضُ مِنْ مَقْعَدِهِ : « كانَ يَوْمًا أَنْقَذَ إِنجِلْترا مِنْ عارٍ عَظيمٍ . سَيِّدي : لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَجِدَ ٱلكَلِماتِ ٱلَّتي أُعَبِّرُ بِها عَنْ شُكْري لَكَ . لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ أَعْمالِكَ ، لٰكِنَّكَ في ٱلحَقيقَةِ أَعْظَمُ كَثيرًا مِمَّا سَمِعْتُ عَنْكَ . »

« يَجِبُ أَنْ أَعودَ ٱلآنَ فَوْرًا لِأَطْلُبَ ٱلصَّفْحَ مِنِ ٱبْنِيَ ٱلعَزيزِ . أَمَّا فيما يَتَعَلَّقُ بِماري ، فَإِنَّ قَلْبي يَنْفَطِرُ عَلَيْها ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ أَيْنَ هِيَ ٱلآنَ ... حَتَّى أَنْتَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تُخْبِرَني أَيْنَ هِيَ . »

قالَ هُولمْز : « إِنَّها سَتَكونُ حَيْثُما يُوجَدُ سِير جُورج بِرنْوِيل . وَسَيَكونُ هٰذا عِقابَ هٰذِهِ ٱلفَتاةِ ٱلمِسْكينَةِ . »

مغامرات شرلوك هولمز

١ ـ العصابة المرقطة وقصتان أخريان

٢ ـ النظارة الذهبية وقصتان أخريان